شهرية تصدر عن الجمعية الوطنية الحجازية
العدد (١) ٢٠٠٢/١١/١٥

الحجاز

هذا الحجاز تأملوا صفحاته سِفرُ الوجودِ ومعهدُ الآثارِ

- تركي الفيصل: متحدون مع أميركا ولكن لمصلحة من؟
- وهابيون يهدمون آثاراً إسلامية في الحجاز
- سياسة أمريكا في السعودية: ديمقراطية بدون (سلفيين)
- جدل حول جمهورية الحجاز الديمقراطية

دور الدولة السعودية في تغذية العنف الداخلي



سعود الفيصل يوضح معالم السياسة السعودية: إصلاحات سطحية والأولوية للعلاقات مع أمريكا

في هذا العدد

"الحجاز" في أول الكلام

قد يولّد عنوان المجلة انطباعات متضاربة تبعاً للانشدادات الفكرية والسياسية والانتماءات الايديولوجية المتباينة للقراء الكرام. ولعل من ابرز الانطباعات المتوقعة هو ما يُستند فيها على النظر الى المجلة من زاوية التمثيل المناطقي بايحاءاته الانقسامية. وهذه النظرة غالباً ما تتعزز في ظل دول تحتضن جماعات متعددة من حيث انتماءاتها الجغرافية واصولها الاجتماعية وموروثها التاريخي والثقافي، وقد تتسع النظرة الى حد اعتبار المجلة كصوت ناشز في الدائرة الوطنية. هذه الهواجس مهما بلغ حجمها لا يمكن تبديدها غالباً بادعاءات سبقية أو مزاعم نظرية قبل خوض امتحان التجربة.

واذا أمكن لنا هنا أن نوجز بكلمات قلائل الغاية المركزية من المجلة فنقول بأنها مرآة للارث الثقافي والديني والتاريخي والاجتماعي لمنطقة الحجاز، هذا الارث الذي تراكم طيلة قرون. وهذه المرآة تمثل إحدى المرايا السائدة في شبه الجزيرة العربية، وهي بالتالي تندرج ضمن حركة الاثراء الادبي والثقافي المنعكسة في اصدارات عديدة داخل هذا البلد. وهي بلا شك تؤكد أهمية جزء عزيز على هذا البلد وشعبه، دع عنك ما تمثله بالنسبة لأهلنا في الحجاز.

فعملية الاثراء الثقافي أو بكلمة اخرى المثاقفة المتصلة تنبع من تنشيط مجمل المجهودات الفكرية والادبية المتراكمة في فضاءات مغلقة نسبياً، وتعميمها عبر ما يعرف بالاثراء التواصلي. فالجزيرة العربية بمناطقها المتعددة احتضنت ومازالت جماعات عديدة مستقرة ومترحلة تركت بصماتها الواضحة على الخارطة الثقافية العربية والاسلامية، وباتت مسئولية استعلان هذه المجهودات مؤكدة على أبناء هذا البلد. إنها حقاً مسئولية تاريخية ودينية يلزم على الجميع الاضطلاع بها من أجل حفظ الامانة ورعاية لحرمة الاجيال السابقة ممن صنعوا لنا مجداً وأوصلوا لنا معه رسالة للاجيال اللاحقة.

فالتوق الى تأكيد هوية، وتاريخ، وثقافة، وآثار، وأدب وشعر الحجاز هو، إذن، مشروعٌ وواجب في آن بصرف النظر عن التوجسات النفسية التي يمكن ان تخلقها المجلة لدى بعض المتهاجسين من بروز ما يحسبونه افتئاتاً عليهم، فكيف اذا كانت البلد تكتظ بمنتوجات اعلامية ذات توجهات خاصة اقليمية ودينية واجتماعية. فلن يقال عن "الحجاز" بما يمثل من ثقل تاريخي واسلامي عظيم انه قد خرج عن الاجماع الوطني حين يقرر ترك بصمته في مجمل الاسهامات الثقافية في هذا البلد.

فـ "الحجاز" ببساطة ترنو الى ان تكون اضافة ثقافية جديدة، من خلال نشر النتاجات الفكرية والادبية والتاريخية لمنطقة الحجاز وتسليط الضوء على معالمها وآثارها ومناشطها الثقافية والادبية وتالياً استقطاب الاقلام التي لم تسنح لها فرصة الكتابة والنشر وتحفيز الطاقات الكامنة سواء الادبية منها او الثقافية للانطلاق عبر صفحات هذه المجلة.

كما تطمح المجلة لنقل المخزون الثقافي والتاريخي والأثري لمنطقة الحجاز وتعريف القراء الكرام عليه، سيما ذلك المخزون الذي لم يتسن لكثيرين الاطلاع عليه او القراءة عنه. فإن الأمل يحدونا لتقديم مادة غنية تبدأ من الخبر ولا تقف عند حد السرد التاريخي، بل تشكيلة ثقافية وأدبية متنوعة اضافة الى استيعاب المناشط الاجتماعية والدينية التي تزخر بها منطقة الحجاز.

واذا كانت المجلة قد قررت الانضمام الى قائمة الاصدارات الاعلامية في الخارج فإنها لن تحيد عن ثوابتها في الالتزام بالوحدة الوطنية والاجماع الوطني ونبذ كافة اشكال التفرقة والتطرف والعصبية سواء على قاعدة دينية او قبلية او مناطقية، وستؤكد دائماً على مبدأ التعايش وحق كافة الجماعات في التعبير عن ذاتها ثقافياً وسياسياً واجتماعياً دون احالة هذا الحق الى سلاح للتعريض بالوحدة الوطنية.

شتم الذات الإلهية أهون من شتم الملك!

المعارضة والإختلاف في السعودية

ابتداءً نحن في المملكة ليست لدينا تجارب سياسية. وأولي الأمر يعتقدون بأن وجود من يختلف معهم طامة كبرى، ولا يريدون أن يمهلوا أحداً كما أمهل الله إبليس الى يوم يبعثون!! فيحاسبه هناك ولكنهم يريدون محاسبته هنا! هناك نرجسية لدى أولي الأمر، ذلك أنه لا يشرف نظاماً أن يقال بأن ليس له من يختلف معه في الرأي. بل هناك من يرى سب الذات الإلهية أهون عليه من التعرض له بالنقد فيعتبر ذلك تعرضاً للذات الأميرية أو الملكية. ومن المعتقد أن الحساسية في السعودية من شيء إسمه معارضة أكبر. والسبب أن السياسة عندنا شأن خاص خلاف كل الدنيا. فمن يتعاطاها هم محدودون ولا يجب أن يتحدث فيها أحد أو ينقاشها أحد أو أن يعتبر أحدنا معني بما يجري له وما يقرر له. هذه هي الحساسية الكبرى والمفرطة. فالشيوخ أبخص، وبالتالي فإن أي رأي يقال حتى وإن توافق مع أولي الأمر ملعون. الأمراء السعوديون لا يريدون أن يتسيس الناس ولا أن يتعاطوا بالشأن العام. حتى المظاهرة المؤيدة لا يريدونها، وحتى النقد البسيط لا يتحملونه، وحتى الكتابة على الحيطان يسجن المئات ولا نقول العشرات بسببها. وحتى كتاب أو منشور يصبح جريمة وتآمراً وغير ذلك.

هذا هو وضعنا.

حين نأتي لكلمة معارضة فإنها تعني أموراً مختلفة. الحزب المعارض في الغرب مثلاً يعني أنه يشكل حكومة أي يحل محل سابقتها، أي يغيرها. عندنا المعارضات لا تستهدف تغيير الحكومة بالضرورة، ولذا فهي من نوع مختلف، نستطيع أن نسمّيه ـ حسب المفهوم الغربي ـ قوى ضغط، أي جماعات ضغط، أي جماعات تعبر عن مصالح معينة وليست بالضرورة مصالح كامل أفراد الوطن.

وكلمة (مختلف) أفضل من كلمة (معارض). والمعارض لا يعارض الحكومة في كل شيء،

وإنما في المختلف فيه والذي بان عواره، والمسألة في الأخير مسألة رأي، ولذا اعتبر السجناء السياسيون سجناء ضمير ورأي. وحتى المختلف بالمفهوم السعودي يعتبر متآمراً يريد قلب النظام ويريد استبدال الحكم، وغير ذلك.

إن وجود المختلف أو المعارض من سنن الكون. فإذا كان الله سبحانه وتعالى قد أوجد له من يخالفه (ولم يوجد نفسه بنفسه أي المعارض إبليس) فنفهم لماذا لا يمكن أن يكون البشر جميعهم متفقون، خاصة وأن الله سبحانه قد خلقنا ولنا طموحات إن لم تتنظم ـ كما فعل الغربيون عبر صناديق الإقتراع ـ فإن الحكم عندنا يكون لمن غلب. مثلما نسمع: أخذناها بالسيف!. هل يحق لي أنا أيضاً أن آخذها بالسيف؟!! أو بمنطق ملك الآباء والأجداد؟!! وماذا عن أجدادي وآبائي: هل جاؤوا من جزر واق الواق!!

لذا شاع لدينا حكم الغلبة والوراثة والإنقلابات العسكرية، وشاع لدينا القمع والإرهاب، وشاعت عندنا دون غيرنا تهم لم ينزل الله بها من سلطان ومعيبة لكل نظام قاهر وهي (سجناء سياسيون، ومعتقلون سياسيون) فهل هذه جريمة أن تشتغل بالسياسة وتعتقل لأن لديك رأيا مخالفاً، وأن تُنفى من وطنك اختياراً أو اضطراراً لكي تقول كلمة قد تكون كلمة حق؟!

أما المعارضة في المملكة فهي أنواع: نوع يريد تغيير النظام، وقد وجد في الخمسينيات والستينات والسبعينات أحزاب قومية بعثية وناصرية. وجاء جهيمان أيضاً كمعارضة مسلحة وليس كمن هم قبله عبر تدبير انقلابات فاشلة، وفشل في الإطاحة بالنظام. وجاءت معارضات أخرى بعضها سلمي يريد تدرجاً في الإصلاح، وبعضها يريد تغييراً جذرياً للنظام.

ولكن ما يهمنا هنا هو أن نؤكد على حق المواطن في أن يشتغل بالسياسة لا أن يكون خروفاً في قطيع.

ونؤكد على أن إقحامه في السياسة أهم من إبعاده منها.

وعلى أن يكون الإصلاح هدف الجميع، لا الإقصاء. وأن الله لم يكتب على أحد أن يكون حاكمه كذا وكذا وكذا. وأن لنا كمواطنين الحق في اختيار من يحكمنا وفي النظام الذي يسيرنا. أما إذا كنا دجاجاً فسنكون على دين ملوكنا: نسمع وقد لا نسمع، نطيع وقد لا نطيع، نصدق وقد لا نصدق، وما نظهره غير ما نبطنه، خشية العصا أو رجاء الجزرة، أو لا إبالية منا.

حينها لا يأتينّ أحدٌ ويقول للمواطن: تعال دافع عن وطنك!! وتعال افهم حقيقة ما تريده أميركا من تقسيم السعودية، ولا أن يقنعه بأنه محسود ومهدد.. الخ. أعطني حقي في قول كلمتي واختيار من يمثلني واحكمني بما يرضيني (كمجموع) وخذ حقك كحاكم، عليك مني واجب الطاعة.

ليس في عنقنا بيعة بالإكراه، وليس في عنقنا إلزاماً أو التزاماً لأحد نزى على الحكم بالوراثة أو بالقوة!

نعم.. بدون معارضة يكون الوطن قطعة قماش واحدة لا لون لها ولا طعم ولا رائحة. تجد الرأي الواحد، والفكر الواحد، والحاكم الأوحد الملهم والعبقري، وتجد لدينا

طلب إعفاءه من الإمارة ليبني لأبنائه منزلاً!!

عبد الإله يقال كأمير للجوف

بسبب سرقاته وتزايد سخط المواطنين

صدر أمر ملكي بتاريخ ١٤٢٣/٨/٢٤هـ بإعفاء الأمير عبد الإله بن عبد العزيز أمير منطقة الجوف من منصبه. وقال الأمر الصادر من الملك فهد أن قرار الإعفاء جاء بناء على طلب الأمير. وقد تم تعيين الأمير فهد بن بندر بن عبد العزيز أميرا لمنطقة الجوف بمرتبة وزير بدلاً منه.

وتقول مصادر مقربة من العائلة المالكة أن الأمير عبد الله كان وراء إقالة الأمير عبد الإله، وأنه جاء بفهد بن بندر (إبن نائبه على الحرس الوطني) لتعديل مواقع ما يمكن الإصطلاح على تسميته (جناح عبد الله) في جهاز الدولة وإمارات المناطق، وهو جناح لم تتشكل معالمه ورجاله بشكل نهائي.

أما سبب الإقالة، فتشير الأنباء الى حوادث الإخلال بالأمن في منطقة الجوف، وازدياد نقمة المواطنين هناك على الحكم السعودي، وبروز نزعات انفصالية بين السكان بسبب سوء المعاملة التي يلقاها المواطنون هناك. وكانت أحداث عنف عديدة قد شهدتها الجوف في السنوات الماضية كان آخرها إغتيال القاضي السحيباني في سبتمبر الماضي على خلفية اعتداءات على حقوق مواطنين. ومن المعلوم ان منطقة الجوف شهدت مظاهرات ومحاولات تظاهر تمَّ تفريقها من قبل قوات الأمن، كانت تحاول الإعلان عن تأييدها للإنتفاضة الفلسطينية.

وفي حوار مع صحيفة عكاظ بتاريخ ٣١ أكتوبر الماضي زعم الأمير عبد الإله بأنه هو الذي طلب الإعفاء من المنصب "لأنني أب ولدي أطفال صغار وأريد أن أتفرغ لهم وأربيهم وأبني لهم منزلاً وأكوّن مستقبلهم"!! فالأمير ليس لديه منزل وأولاده ضائعون يريدون تأمين مستقبلهم. فهل هناك صفاقة ولا نقول كذباً أكثر من هذا؟! مع أن الأمير يعدّ واحداً من كبار لصوص الأراضي المشهورين.

وقال عبد الإله إنه سيتجه للعمل الخاص لفترة من الزمن ريثما يؤسس لأبنائه حياة مستقبلية جيدة. والى أن يعين في منصب جديد سيبقى له حقه كأحد أبناء عبد العزيز "يناط به الرأي والمشورة". وحين سُئل: هل يعني هذا أنكم طوال الفترة لم تؤسسوا لهم شيئا؟ قال بكذب صارخ: "على الاطلاق! لا أملك سوى منزل صغير في جدة ولا أملك منزلا في الرياض او الجوف وسأحاول بناء منزل لابنائي كما قلت لك". وزعم أن ولي العهد "حاول أن يثنيني عن قراري ويقنعني ولكني شرحت له الظروف".

وحين سئل عن المشاريع التي حققها لأهالي الجوف لم يجد الأمير إلا القول بأنه طالب بالمشاريع "وسوف تتحقق لهم. وأرجو من أهالي الجوف إذا حدث تقصير ان يعذروني".

ويصل الكذب مداه، حين تجرأ الصحافي وسأل الأمير: هل لك مشاريع خاصة في الجوف؟

أجاب: "لقد اشتريت قطعة أرض اقترضت مبلغها من أحد الاهالي وأتمنى ان أقيم عليها منزلاً".

(الأفضل والأحسن والأعظم واخر تقليعات أفعال التفضيل) نطلقها على كل ما لدينا سواء كان يستحق أم لا يستحق.

بدون معارضة يكثر الفساد وتكمم الأفواه ويخاف الحاكم كما المحكوم، وينبطح الحاكم للأجنبي خوفاً من شعبه، وتسلم قرارات ومستقبل الأجيال للأجنبي.

لا يوجد بلد ليس فيه معارضة. المهم شرعنتها ضمن القانون.

ولن ينال أحد ١٠٠٪ من الأصوات اللهم إلا صدام حسين! إذن انك لو أجريت استفتاء على وجود الحق لما حصل على مائة بالمائة، فهناك ملاحدة لا يعترفون بوجوده تعالى الله عما يقولون.

فما بال آل سعود يريدون منا أن نعتبرهم آلهة من دون الله تعبد وتمجد وتخرس الألسن من أجلها؟

ما بالنا ما أن يظهر شخص يسعى للإصلاح حتى يتهم بالعمالة والخيانة والتآمر؟

في حين كان الأولى أن يتهم من يزعمون أنهم أولي الأمر بخيانة الأمانة والتفريط بحقوق المواطنين وبيع مستقبل الأجيال للأجانب من أجل البقاء على الكرسي؟

نحن لا ندافع عن معارضة بعينها، بل عن حق المعارضة في الوجود وحقها في الإختلاف في الرأي. والحاكم في بلدنا أقوى بالإنتخاب وبوجود المعارضة منه بتكميم الأفواه وتطفيش المواطنين خارج الحدود وسحب جنيسياتهم! ثم اتهامهم بالعمالة والتآمر بل والإرهاب أيضاً، متناسياً أن إرهابه وعمالته هما وراء كل هذا لو حصل!

إن بلداً كالسعودية، لا توجد به آراء مختلفة، وطموحات تنظم ضمن قوالب قانونية، هو بلد غير مستقر، ولو يبد ذلك على السطح، فالإنفجارات الإجتماعية السياسية ستصم الآذان اليوم أو غداً وإذا تأخر فبعد غد.

حينها يتأكد لهم ربما أن هناك معارضة غير سلمية هذه المرّة بل معارضة عنيفة وحادّة.

ويبقى الخيار للعائلة المالكة التي لا تزال تتظاهر بإصلاح البلاد في حين أنها غير قادرة على إصلاح نفسها وتوجهها.

هل أصبح العنف ظاهرة سياسية في السعودية؟

دور الدولة في تغذية العنف الداخلي

مقتل ألماني في تفجير الرياض، واختطاف طائرة سعودية

يمكن المجادلة بأن تتابع الإنفجارات في العاصمة السعودية ومدن أخرى والتي كان آخرها انفجار يوم الأحد (٢٩ سبتمبر الماضي) أدّت الى مقتل ألماني، تلاها اختطاف طائرة سعودية من مطار الخرطوم (في ١٥ أكتوبر الماضي).. لا يمثل ظاهرة عنف سياسي، باعتبارها أحداثاً متفرقة ومتباعدة من حيث الزمان والمكان. لكن إذا ما تمّ تعريف العنف بمعناه الواسع، فإنه يمكن القول في أقلّ الأحوال أن المملكة ومنذ سنوات عدّة تشهد حوادث لم تألفها من قبل كالتفجيرات المتعددة، واختطاف الطائرات والأشخاص، والتمرّد في السجون، والإغتيالات التي شملت رجال أمن ورجال دين (كان آخرها اغتيال الشيخ القاضي السحيباني في سبتمبر الماضي)، والتمردات الجمعية الشعبية المسلّحة كالذي شهدناه في نجران قبل عامين، والذي نتج عنه حملة من الإعتقالات واقتحام المدينة بالمدرعات العسكرية، إضافة الى القتل في الشوارع كما حصل قبل شهرين أيضاً حين أقدم أحد الأمراء (فهد بن نايف بن سعود) بقتل أحد المواطنين في الرياض (منذر القاضي).

قبل الانفجار الأخير، نعمت المملكة ببضعة أشهر هدوء. فقد كان آخر حادث عنف سياسي قد وقع في فترة الهجوم الأميركي على أفغانستان في أحد أسواق مدينة الخبر وراح ضحيته كالعادة عدد من الأجانب. قيل أن ذلك الهدوء كان نتيجة اتفاق غير مكتوب بين وزارة الداخلية وبين عدد من مشايخ التيار السلفي ممن يصنّفون تحت مسمى (مشايخ الصحوة) وقضى ـ كما يقال ـ بأن تخفف أجهزة الأمن وطأتها عليهم وأن تفسح لهم المجال في الإعلام الداخلي والخارجي وفي الحركة بإلغاء منع السفر، مقابل السعي الجادّ لتهدئة الشارع السلفي والذي تنظر الحكومة إليه كمصدر أساس للعنف.

والحقيقة أن المملكة كانت توّاقة الى هدوء داخلي بعيد أحداث سبتمبر والحرب ضد أفغانستان، منعاً لإثارة المزيد من التوتر في علاقاتها مع الولايات المتحدة والغرب عموماً. وربما انعكست الرغبة الحكومية على الشارع السلفي مجملاً، وبدا وكأنّ دعاة مواجهة الغرب والمتعاطفين بشدّة مع حركة طالبان والقاعدة قد تمّ تهميشهم أو بمعنى آخر جرى تثبيط عزائمهم بفعل الهجوم الأميركي الكاسح على كل المستويات السياسية والإعلامية والعسكرية، والذي شمل المملكة وقيادتها.

لم يكن الوضع الداخلي للتيار السلفي في مجمله يسعى الى مواجهة مع الولايات على الأرض السعودية، وكان توّاقاً الى حدوث انتصار أو ضربات انتقام ضد الغرب في أماكن أخرى: في أفغانستان، او اميركا أو أي مكان آخر، عدا داخل المملكة. والسبب حراجة العلاقة الأميركية السعودية من جهة، والتوتر الشديد في العلاقة بين التيار السلفي والحكومة السعودية. لكن الحكومة السعودية نفسها، وفي سبيل الحصول على شيء من الهدوء السياسي، قامت بعدّة خطوات تنفيس داخلية للتيار السلفي، ليس بينها تحفيزه بمزيد من القمع. على العكس تماماً، فقد تعاملت وزارة الداخلية مع السعوديين العائدين من أفغانستان، سواء كان أولئك الذين جاؤوا عبر ايران أو عبر الباكستان، أو غيرهما، باحترام غير مسبوق. صحيح أنها اعتقلتهم ولكنها أطلقت سراح معظمهم بعد توقيف استمر بضعة أشهر، وبالنسبة لبعضهم بعد بضعة أسابيع.

أيضاً، وفي خطوة لا تخلو من الحكمة، أطلقت أجهزة الأمن سراح العشرات من المعتقلين على خلفية تفجيرات الخبر عام ١٩٩٦، وهم خليط ينتسب لتيارات سياسية متناقضة في توجهها الفكري والسياسي (شيعة وسلفيين).. وجاء اطلاق سراح معظم هؤلاء بعد مضي اكثر من ست سنوات على اعتقالهم دون أن يثبت إدانة أيّ منهم بارتباطات مع الحادث الذي لا يزال مدبّروه مجهولين حتى الآن. لقد كانت تلك الإعتقالات في واقعها مجرد تصفية حسابات سابقة استغلّت أجهزة الأمن حادث الخبر للتغطية عليها، الأمر الذي شجّع عدداً من عوائل المعتقلين في الآونة الأخيرة للتقدّم بشكوى الى إحدى المنظمات التابعة للأمم المتحدة ضد الحكومة السعودية نفسها. هذا ولازالت هناك بقيّة من المعتقلين وفي مقدمتهم هاني الصايغ الذي لم تتم إدانته لا في الولايات المتحدة ولا في السعودية التي تسلمته منها، ومع هذا لازال معتقلاً رغم انتفاء مبررات الإعتقال من أساسه.

المهم في أمر حوادث العنف التي تشهدها المملكة أنها شديدة الخدش لصورة الإستقرار في على المستويين الداخلي والخارجي. لقد كان الإستقرار الأمني ـ ولا نقول السياسي ـ واحداً من مبررات وشرعية نظام الحكم، وإن الفشل في إيقافه يهزّ شرعية النظام، ويسقط هيبته، ويحفز كثيرين على الإستمرار فيه وتوسيع نطاقه. وفي الوقت الذي تحاول فيه الحكومة السعودية رسم صورة معتدلة لسياستها في الخارج، تأتي التفجيرات الداخلية وأحداث العنف التي يشارك فيها سعوديون في الخارج، لتظهر صورتين متناقضتين بشكل جلي في تفاصيل الصورة، وحقيقة الإستقرار الداخلي، وطبيعة الثقافة السائدة



السيارة التي قُتل فيها المواطن منذر القاضي على يد أحد الأمراء من آل سعود

في المجتمع السعودي.
ولأنّ ظاهرة العنف والجريمة في أي بلد تحتاج الى حلول سياسية واقتصادية واجتماعية قبل أن تكون أمنيّة.. ونظراً لغياب مثل هذه الحلول في المملكة وربما بسبب انسداد آفاق الحلول المعالجة لجذور الأزمة، فالوضع السياسي الجامد والخانق، والإنتكاس الإقتصادي يتجه الى المزيد من التدهور، وكذلك فإن هامش الحرية المتاح للتعبير ضيق لا يوجد له مثيل بين دول الخليج والجزيرة العربية على الأقل.. لهذا، فإن المرجح استمرار العنف الداخلي، ومن المرجح أيضاً أن تكون شراراته السياسية أكثر وضوحاً من جهة ارتباطها بالأوضاع السياسية المحلية: الهجوم الأميركي على العراق بمساعدة السعودية، والتهديدات الأميركية التي تتعرض لها المملكة دولة ونظام حكم وتيار سلفي، واستمرار الأوضاع المؤلمة في فلسطين المحتلّة وما تثيره من مشاعر ألم في ظل استمرار العجز العربي عامة والسعودي خاصة.
كل هذا يدفعنا الى الإعتقاد بأن العنف في المملكة لن يتوقف، وسيأخذ أشكالاً متعددة عبّر من الناحية الفعلية عنها أكثر من مرة خلال السنوات الماضية.
ومن القضايا الجديرة بالإنتباه، أن كل قضايا التفجيرات على وجه الخصوص لم يتبناها تنظيم معيّن، وحتى أولئك الذين قبض عليهم في تفجيرات العليا بالرياض وأعدموا، لم تفد التحقيقات بانتمائهم الى تنظيم أو اتصال بجهة خارجية. من يكون هؤلاء إذن؟
القضية هنا لا تتعلق بإسم بقدر ما تتعلق ببيئة مغلقة سياسياً ومحاصرة فكرياً.
فمن جهة أولى إن التنظيمات السياسية السعودية تعاني من مشكلة مزاحمة التجمعات التقليدية التي يحفل بها المجتمع السعودي. وتزداد المشكلة حين يتم تجريم التنظيم السياسي الذي يمكن أن يستوعب بعض القوى الشبابية في المجتمع فيؤطرها ضمن اللعبة السياسية المحلية، إذا ما وجدت فعلاً قواعد للعبة السياسية على المستوى القانوني.
ومن جهة ثانية، فإنه وفي ظل الإنحباس السياسي، والتوتّر الإجتماعي الناشيء من تردّي الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية، لا يجد الجيل الشبابي الجديد المحبط من متنفّس إلا عبر تشكيلات صغيرة. أي جماعات تتشكل من بضعة أفراد من نفس العائلة أو الحي أو من نفس المدرسة أو زملاء في عمل أو جيران يرتادون مسجداً ما، أو يشكلون شلّة من الشلل. يقرر هؤلاء لمواجهة الوضع وحالة الخوف والإحباط القيام بعمل ما لتغيير الوضع. وهنا تكمن المشكلة.
فهذه البؤر الصغيرة قد لا تصمد أو ترتكب الأخطاء فيجري اعتقال أفرادها بسرعة ولكن بعد أن تنجح في العادة في القيام بعمل كبير بمقاييس السعودية وربما غيرها. ولكن سقوط الجماعة في فخ الأمن لا يفيد كثيراً، ذلك أن هناك عشرات التجمعات والشلل المشابهة التي تبادر من

ذاتها للقيام بأعمال مماثلة. وهي هنا تستطيع الإزعاج وتهدد الإستقرار الداخلي الهش، ولكنها غير قادرة على التغيير السياسي الجذري، أو ليس هذا مطمعها، ولكن فعلها قد يفتح بعض النوافذ نحو التغيير السياسي السلمي.

في المملكة طاقة هائلة قابلة للإنفجار، وهي تستقي المزيد من مخزون العصبيات الدينية والقبلية، ومن الأخطاء والخطايا الحكومية على مختلف الصعد الداخلية.. هذه الطاقة قابلة للإشتعال الداخلي، كما هي للتصدير الخارجي. وحتى الآن فإن العنف السعودي في أكثره موجه للخارج السعودي، أو الداخل السعودي المتعلق بذلك الخارج. وهناك من يعتقد بأن المسألة لا تعدو مجرد الوقت حتى يتحوّل مخزون العنف نحو (التدمير الذاتي) أي للداخل السعودي إن لم يتم تفاديه سريعاً بمعالجات تسحب فتائله.. هذه المعالجات التي ينتظرها كثيرون في المملكة وخارجها لا تلوح في الأفق، وإن لاحت ففوق غمامة من الإضطراب العنيف.

الخوف الذي يجتاح فئات اجتماعية كثيرة من تطور العنف الداخلي يأخذ بعين الإعتبار التطورات الإقليمية وتزايد الإحباط الداخلي، كما يلحظ واقع ثقافة العنف السائدة سواء لدى المواطن أو لدى المسؤول، وحقيقة أن موانع عدم انفجار الوضع ليس رهيناً بموقف الحكومة بقدر ما هو قرار تمسك بخيوطه فيما يبدو القوى التي تنفذه. وقد بادرت الحكومة فعلاً بزيادة إجراءاتها الأمنية في المواقع الحكومية المهمة وفي الحراسات الخاصة، وفي المنشآت النفطية. ترى هل جاءت هذه الإجراءات الإحترازية من فراغ؟.

المسألة اليوم تدور حول ما إذا كانت جماعات العنف ترى بأنه آن الأوان لإشعاله أم لا؟ هل استكملت المبررات الداخلية له أم لا؟ وهل تتطور الأمور من تكفير الحكومة الى محاولة إسقاطها؟ وهل تقدم الحكومة مبررات إضافية لتيارات العنف عبر انغماسها في سياسات دولية وإقليمية تؤجج النقمة وتسحب بساط الشرعية عنها، كالتعاون مع أميركا في موضوع العراق؟.

ختاماً، مرة أخرى نقول بأن مفاعيل العنف حاضرة في المملكة، كما أن استمراره بل وتصاعد حدته يكاد يكون أمراً شبه حتمي، لأنه نتيجة (طبيعية) أو ردّة فعل (عاطفية) حادّة على ما يجري من سياسات وأوضاع. تلك السياسات لا يظهر أنها ستتغير على المستوى المحلّي، ولا يبدو أنها ستتغير على الصعيد الخارجي (الإنغماس أكثر في الإستراتيجية الأميركية)، ولا يبدو أن من يقف وراء تلك السياسات يفكّر في معالجات بغير عصا الأمن.. وإذن ليس هناك من بديل يمنع الإنفجار.

قد تكون هذه نظرة بالغة القتامة، وهي كذلك حقاً. لكن المملكة ومنذ نحو عقد من الزمان أصبحت مفتوحة على كل الإحتمالات، وجاءت أحداث سبتمبر ٢٠٠١ فجعلت ما لا يصدّق واقعاً حياً نراه على شاشات التلفزيون.

الوضع الداخلي مخيف حقاً، وما يبعث على القلق هو أن هناك شيئاً مكتوماً لا يبوح به المواطنون مما يجعل استقراء الوضع بالغ الصعوبة. والأكثر إخافة هو أن تنظيراً للوضع الداخلي السعودي ودراسة لنفسيات الجيل الجديد لم تقدم بصورة مرضية أو شمولية بحيث يمكن تتبع مواطن الخلل وتقدم العلاجات.

إن نقص الشفافية أحد أدوائنا، وإلا من يصدّق أن عدد المنتحرين السعوديين سنوياً يبلغ نحو ستمائة شخص (بلغ عدد المنتحرين المسجلين عام ٢٠٠٠م ٥٩٦ حالة، بزيادة ٣٢٠ حالة عن عام ١٩٩٧م، أي بزيادة ٥٣٪ في ظرف ثلاث سنوات! هذا ولا يزال الخطاب الرسمي يتحدث عن البلد المحافظ والمؤمن الذي لا يريد رؤية وجهه الآخر). لم يسأل أحدٌ من المسؤولين نفسه مثلاً: لماذا هذه الزيادة الرهيبة، ولماذا حصدت المنطقة الشرقية التي لا يزيد سكانها عن ٢٢٪ من مجمل سكان المملكة ٤٠٪ من مجموع الحالات أي (٢٣٩ حالة انتحار) في حين أن منطقة الرياض سجلت ١٠٢ حالة فقط، ومنطقة مكة المكرمة ٧٧ حالة، والقصيم ٥٠ حالة انتحار، وعسير ٤٧ حالة؟

يبدو أن الشعب السعودي كما حكومته صندوق مغلق لم يكتشف ما بداخله حتى الآن. إنه شعب لم يجرب تعاطي السياسة ولم يقتحم التابو إلا متأخراً وعبر الإنترنت فقط. ومع هذا وبعد طول غياب عن الساحة والتهميش المتعمد لدور المواطن، يأتي الأمراء السعوديون ليقولوا له: هيا فكر في المستقبل! أنت مسؤول عن الدفاع عن الوطن! كيف؟ المسؤول نفسه لم يفكر أبعد من أرنبه أنفه، وكان نائماً على خيارات جامدة لم يتصور أن تكون في يوم ما بهذا العنفوان الذي نشهده، ولذا فإنه لا يرى خيارات أمامه كثيرة، لأن النظام السياسي أصلاً متيبّس، والتفكير في الغد شبه مشلول. وحتى إذا فكّر لم يتعود على القرار الحاسم والسريع والجريء ويتحمل مسؤوليته، بل نهج الى المسكنات في حين أن حركة السياسة اليومية لا تنتظره، لا إقليمياً ولا دولياً ولا حتى محلياً.

إن حركة الشارع السعودي ومطالبه وتحولاته النفسية والفكرية أسرع من حركة الحكومة بشكل كبير.

إن موضوع العنف جدّ خطير وهذا ليس جديداً.

ولكن السؤال الذي يحتاج الى جواب هو: ماذا نفعل تجاهه؟

باختصار فإن المملكة بحاجة الى خطوات حاسمة عديدة آخرها الجانب الأمني واستخدام العصا.

١ ـ الإصلاح السياسي ضرورة، فبدونه لا يكون هناك تنفيس حقيقي للغليان الداخلي. والإصلاح السياسي يشمل برلمان منتخب ودستور صحيح وحرية إعلام وصحافة وتجمع.

٢ ـ ضبط الأوضاع الإقتصادية، فالنوافذ والأبواب اليوم مقفلة سياسياً واقتصادياً ولا نظن أن هناك شعباً في العالم يتحمّل هذا. الوضع الإقتصادي ينذر بأزمات اجتماعية. ونحن بحاجة الى إصلاح الوضع الإقتصادي بالقضاء على الفساد، وضبط تصرفات العائلة المالكة وحاشيتها، وتأمين أوليات الحياة الكريمة للمواطن. لازال هناك متسع من المال فيما لو أحسن تدبيره. أزمة البطالة وأزمة التعليم الجامعي وأزمة الخدمات الصحية، ثلاث مسائل متفجرة تنتظر الحل.

٣ ـ المؤسسة الدينية تحتاج الى إصلاح وترشيد، فهي شئنا أم أبينا أصبحت عبئاً على الدولة والمجتمع. القضاء وهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وصلاحيات المؤسسة الدينية الواسعة في التعليم والرقابة يجب أن تقلّ، وأن ترشد العقلية السائدة الآن.

بدون هذه الأمور لن نكون بعيدين عن العنف إلاّ قليلاً. نحن في الحقيقة على الحافة جداً.

زيارة المنطقة الشرقية..

الخوف من الإنفصال

فجأة وبدون مقدمات.. انطلق الركب الملكي الى المنطقة الشرقية.
لأول مرة تستقبل سلطان وعبد الله معاً. مشاريع افتتحت منذ أشهر وبعضها منذ سنوات، جاء الأمير عبد الله ليعيد افتتاحها! الأمير بدر ومشعل وأمير الشرقية ونائبه وعشرات من الأمراء الصغار والمسؤولين والوزراء كانوا يمارسون دورهم في العروض التلفزيونية!
احتفالات في القطيف والأحساء والجبيل وأماكن أخرى كانت تجري على قدم وساق. ما لذي حدث؟ وما هو سرّ الإهتمام غير العادي بهذه المنطقة؟
سئل الأمير أحمد نائب وزير الداخلية عن ذلك فقال ليس هناك شيء غير عادي! أصل السؤال يكشف عن المخاوف السعودية. فالمنطقة الشرقية من وجهة النظر السعودية إضافة الى الحجاز مرشحتان للإنفصال عن جسد الدولة (النجدية).
وقد كانت الخطابات والتصريحات في الإحتفالات تؤكد على وثاقة الوحدة الوطنية! هل كانت الوحدة موضع تساؤل؟! وتكرر الخطب (الشعبية!) مقولات الإلتفاف حول حكومة آل سعود، وأن المواطنين لا يريدون غيرهم بديلاً! فهل قيادة هذه العائلة موضع شك أيضاً؟!
لقد كثر الحديث عن انفصال الحجاز والمنطقة الشرقية، بل أن الأميركيين هددوا العائلة بالإستيلاء على منابع النفط وتأسيس دولة هناك، وقد كانت زيارة الأمراء للمنطقة الشرقية رداً على تلك التهديدات. أرادوا القول بأن الشعب هناك معهم، وأنهم مع الوحدة. وهناك رسالة أخرى لسكان الشرقية أراد الأمراء القول لهم بأنهم يهتمون بهم ويسعون لإصلاح أوضاعهم السيئة، وأنهم بصدد تغيير سياساتهم الطائفية والمناطقية وتعزيز ثقافة المساواة بين المواطنين.
ليست تحركات آل سعود الأخيرة سوى رد فعل مؤقت، وبمجرد أن تتبدّد الضغوط الخارجية ستعود حليمة الى عادتها القديمة. ليس لدى الحكومة السعودية رد منهجي يصلح الأوضاع الداخلية ويقوّي اللحمة بين المواطنين، ذلك أن الحكم السعودي نفسه قائم على التفرقة بين المناطق والقبائل والمذاهب، حتى تستمر سيادة الأمراء وتسلطهم. لا يظهر أن الوضع سيستمر طويلاً، فخيارات الحكومة محدودة، ولا تستطيع الآن وبعد عقود من تأسيس الدولة أن تحل المشاكل المتراكمة والثغرات الجوهرية في بنيان السلطة وتركيبتها، ولهذا فإن دعوات الإنفصال ستتصاعد وإن بصمت وخجل.

صندوق النقد يطالب السعودية بإجراءات حاسمة

٧٠٠٠ أمير يقتطعون مليارات إضافية فوق مخصصاتهم

حذر صندوق النقد الدولي الحكومة السعودية من ارتفاع عجزها المالي ودعاها الى إجراء إصلاحات إقتصادية جذرية حاسمة. وقالت الفايننشيال تايمز في ٢٣ أكتوبر الماضي أن صندوق النقد نصح بأنه "إذا أرادت المملكة أن تجنب نفسها تضخم الدين العام فإن هذه الاصلاحات لا بدّ منها لتشجيع الاستثمار وإنعاش الاقتصاد". وكانت الحكومة السعودية قد وعدت بإصلاحات لم تف بها، ولذا حذّر صندوق النقد بأن "الوضع الاقتصادي في المملكة سيبقى عرضة للهزات خصوصا في ظرف إنخفاض متوقع لأسعار النفط في السنوات الخمس القادمة".
وأشار تقرير صندوق النقد الدولي الى أن مبيعات السعودية من النفط بلغت في العام ٢٠٠٠ حوالي ٧٢ مليار دولار، في حين أن الحكومة السعودية أعلنت في بيان ميزانيتها أن المبيعات بلغت فقط ٥٧ مليار دولار. وشرح تقرير الصندوق سبب التفاوت في الرقمين بالقول أن الفارق "ذهب الى شركة النفط (أرامكو) والى نفقات خارج إطار الميزانية مثل المخصصات الضخمة التي تدفع لحوالي سبعة آلاف أمير".
وحسب صحيفة الفايننشيال تايمز فإن صندوق النقد الدولي قد أجرى حواراً مكثفاً مع الحكومة السعودية بغية تنفيذ بعض الخطوات والبرامج المثيرة للجدل، من بينها الشروع بفرض ضرائب على مدخولات العمالة الأجنبية في البلاد، على ان يطبق ذلك على العمالة السعودية مستقبلاً. الجدير بالذكر أن العمالة الأجنبية في المملكة تشكل حوالي ٤٨٪ من مجمل قوة العمل. ويطالب صندوق النقد الحكومة السعودية بوضع خطط للنفقات التي تصرف خارج الميزانية، وبالإسراع في برامج الخصخصة.

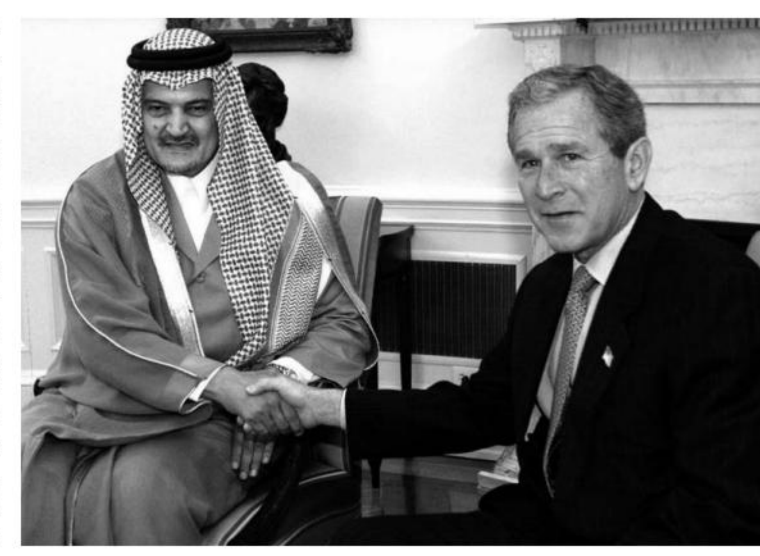
سعود الفيصل يرسم بالخط الرفيع ملامح السياستين الداخلية والخارجية

إصلاحات سطحية والأولوية للعلاقات مع أميركا

نشر موقع إيلاف في ٢٤ أكتوبر الماضي، تقريراً عن زيارة المجلس الوطني لعلاقات الولايات المتحدة مع العالم العربي للمملكة العربية السعودية، ولقائه مع عدد من كبار المسؤولين السعوديين بينهم وزير الخارجية ووزير التعليم وأعضاء في مجلس الشورى ومسؤولين نفطيين سعوديين ومجموعة أخرى من الشخصيات ضمت رؤساء ومدراء تنفيذيين لشركات سعودية وأميركية، و١٨ من الشخصيات النسائية وأعضاء منتخبين حديثا في الغرف التجارية الـ١٩ في المملكة.
ضم الوفد الأميركي خبراء في شؤون الدفاع والشؤون الاستراتيجية والطاقة والقضايا (الجيوبوليتيكية)، وكان الغرض من الزيارة تقييم للعلاقة المتوترة بين أميركا والسعودية، كما وتأتي كخطوة من جانب الأخيرة لإصلاح العلاقة بين البلدين وتقديم صورة مختلفة عما رسمته أجهزة الأعلام الأميركية عن السعودية ونظام الحكم فيها.
وقد عقد وزير الخارجية السعودي لقاءً مع أعضاء الوفد الأميركي، قيّم فيه العلاقات بين البلدين وأوضح نقاط الإختلاف فيها، والعوامل التي تساعد على ديمومتها، وكذلك ملامح الإستراتيجية السعودية في المرحلة القادمة سواء على الصعيد الخارجي أو الداخلي.

العلاقات الاميركية السعودية

في كلمته أمام الوفد، قال الأمير سعود الفيصل أن استمرار العلاقة بين أميركا والسعودية طيلة العقود الماضية قد يكون مفاجئا لكثيرين بسبب ما أسماه "نقص معرفة احدنا بالآخر". واعتبر المرحلة الراهنة في العلاقات نقطة "تختبر عندها طبيعة هذه العلاقة، وتتكون المفاهيم المعرفية التي نرجو ان تكون مبنية على حقائق". وقال بأن تعزيز العلاقة بين البلدين يعود الى قطاعي المال والأعمال في البلدين. ذلك أن المملكة من الناحية العملية تقدم امتيازات عديدة لشركات أميركية، خاصة النفطية منها، تتعمّد أن تكون لها ربحية عالية كثمن تقدمه من أجل تشكيل لوبي لها في أميركا يدافع عنها ويطالب بحمايتها باعتبارها جزءً من منظومة المصالح الأميركية.
في تحليله لتطور العلاقات السعودية الأميركية قال وزير الخارجية السعودي أن السياسة الأميركية في الشرق الأوسط تغيرت من الدفاع عن إسرائيل الى مشاركتها في حروبها ثم تطلع اميركا لدور إمبريالي في المنطقة وهو أمر لم يكن موجوداً من قبل. وتابع القول "في منطقة الشرق الأوسط هذه المسببات مزمنة وعميقة الجذور، فأجيال بعد أجيال من أبناء المنطقة شبوا ووعوا الحياة على اوضاع متراجعة متدهورة ابدا، وبما يخص الولايات المتحدة كانت النظرة القديمة اليها عمليا بريئة وبدائية، وظلت على هذا النحو على امتداد عهد الرئيس دوايت آيزنهاور، فقبل تلك الفترة لم تكن هناك علاقات دفاعية بين الولايات المتحدة واسرائيل".
واضاف: "منذ عهد الرئيس وودرو ويلسون كانت الصورة الأميركية نظيفة ونقية، اذ لم يكن للولايات المتحدة مستعمرات او مطامح امبريالية بل كان الناس يذكرون لها "نقاط ويلسون الـ١٤" الشهيرة، التي شددت احداها على اهمية "حق تقرير المصير"، وهذه الافكار وجدت لها أصداء في العالم العربي. ولكن تغيرت بعد ذلك صورة اميركا بوتيرة متصاعدة بفعل الاصوات المنادية بالقومية العربية، وبدورها غيّرت اميركا تصورها للعرب مركزة على الأفكار التي مثلها جمال عبد الناصر وخطابه الناري وكلام بعض القوميين عن رمي الاسرائيليين في البحر".
ولاحظ سعود الفيصل في معرض تقييمه للعلاقات مع أميركا: "أنه في بواكير عهد الرئيس جون كنيدي شاب تلك العلاقة شيء من العداء. الا ان زيارة الملك فيصل، اول من قابل كنيدي، ثم زيارته للرئيس ليندون جونسون، حسّنتا الوضع".
واعترف وزير الخارجية السعودي بأن أحداث سبتمبر قد سببت أزمة مع الولايات المتحدة. يقول: "كانت صدمتنا أليمة جدا عندما اكتشفنا تورّط عدد كبير من المواطنين السعوديين. كان رد فعلنا الذهول، ثم دخلنا طور الانكار، انكار ان شيئا من هذا القبيل يمكن ان يحصل، واخيرا رد الفعل المخيف وهو أننا امام حقيقة واقعة. لقد كنا كمن يصحو في يوم من الأيام ليكتشف ان ولده قاتل سفاح".
فهل كان اشتراك سعوديين في الهجوم على اميركا مفاجئاً حقاً للأمراء السعوديين؟ كيف يكون ذلك وأحداث عنف عدّة وقعت في المملكة ضد أميركيين ومصالح أميركية؟ كيف يكون ذلك والعائلة المالكة كانت مشغولة حتى الأعماق في تسمين قواعد العنف داخل وخارج المملكة؟ المملكة لم تؤخذ على حين غرّة. ربما كان المفاجئ حجم العنف وليس وقوعه. وتعهد سعود الفيصل أمام الوفد الأميركي بالقول: "أبدا لن نسمح في المستقبل بأن يذهب ابناؤنا ممن هم في سن المراهقة الى أماكن كأفغانستان، للتأثر بظاهرة كـ"القاعدة" تفتنهم



وتسلبهم عقولهم، هذا جانب مما علينا فعله". واعترف بأن تجنيد القاعدة للسعوديين يثير قلق حكومته ولكن "يجب ان نخرج من تجربة ١١-٩ بأمرين اثنين: الأول هو التفكير بيننا وبين أنفسنا بما كان علينا عمله لتجنب حدوث ما حدث، والثاني هو بناء قاعدة تفكير والتزام عند الجانبين (الأميركي والسعودي) بان ما حدث لن يتكرر ابداً". بعبارة أخرى: إن المملكة تبحث - حسب القول آنف الذكر - عن أسباب خروج العنف من السعوديين، والأخطاء التي ارتكبوها، وأن تسعى بالتعاون مع أميركا للعمل على أن لا يتكرر ما حدث مرة أخرى. بيد أن هذا الأمر لا تستطيع السعودية بشكل خاص أن تضمنه، كما لا تستطيع أميركا تفادي عدم تكراره. فمنظمات العنف شبّت عن الطوق، وتمرّدت على أسيادها السعوديين والأميركيين، وهذا زمان (الحصاد) لا يكفي معه منع زراعة العنف، هذا إذا كانت الحكومة السعودية جادّة فعلاً لانتهاج سياسة محلية بالدرجة الأولى توفر الشروط المطلوبة لمحاصرة العنف فكراً وفعلاً، وهو أمر لا نحسب أن آل سعود قادرون على القيام به بالشكل المطلوب، كما لا تتوفر لهم النيّة والحسم للقيام به نظراً لتداعيات الأمر على الإستقرار المحلي.

رغم ما حدث في الولايات المتحدة، فإن وزير الخارجية السعودية أبدى انزعاجاً شديداً من الهجمة الإعلامية الأميركية، وألمح الى أنها تضرّ بالعلاقة بين البلدين، بل أشار بطرف خفي الى أن أطراف في الإدارة الأميركية على أقل التقادير تقف وراء الحملة التي يجب إخراسها. يقول: "ثمة جهات داخل الولايات المتحدة تتعمد تشويه الحقائق لغايات وخدمة لمصالح خاصة بها. اذا كانت السعودية حقا مهمة بالنسبة للولايات المتحدة لوجبت مواجهة هذه الجهات والجماعات لأنها تعبر عن مصالحها لا مصالح الولايات المتحدة". وأضاف بأن "السعودية اكثر تعقيدا وتلونا من الصورة المرسومة لها في الولايات المتحدة" وطالب الأميركيين بأن "يكون هناك قدر أكبر من النية الحسنة في الحوار مما نراه حاصلا اليوم".

الإستراتيجية السعودية لسياستها الخارجية

المملكة كما هو واضح من تصريحات مسؤوليها تريد إعادة الدفء للعلاقة بين البلدين، ولكن الطرف الآخر هو الذي نفر منها ورأى بأن السعودية بوضعها الحالي وبنظامها السياسي المغلق وبدعمها للفكر (الوهابي) أصبحت ضمن خط النار الأميركي. والمملكة أصبحت مخيرة اليوم بين (الوهابية) مع ما يمكن أن تفرزه سياسة الإبتعاد عنها من أخطار على شرعية نظام الحكم واستقراره، وبين (الحماية الأميركية) التي قد تنقلب الى معول لتقسيم السعودية وإنهاء حكم العائلة المالكة نفسه. الأمراء السعوديون يريدون العمل على المسارين والحفاظ عليهما كما في الماضي. ولكن الطرفين (المؤسسة الوهابية) و (أميركا) لا يقبلان باستمرار التعايش الذي استمر بينهما لعقود طويلة خلت، وهو ما جعل الدولة السعودية تهتز من أعماقها.

تريد العائلة المالكة إصلاح علاقتها بأميركا، وفي نفس الوقت الحفاظ على هوية الدولة (الوهابية) التي تعزز سيطرة العائلة المالكة واستفرادها بالحكم، مع تجريد للمؤسسة الدينية من (بعض) صلاحياتها ومنحها بالمقابل صلاحيات في مجالات أخرى. نموذج ذلك هدم مقبرة السيد العريضي في المدينة المنورة، واحتمال إخراج قبر الرسول صلى الله عليه وسلم من المسجد النبوي. ولكن هل سينجح ذلك؟ وإذا ما نجح فما هو الثمن المترتب دفعه شعبياً، والآثار الناجمة على الوضع الداخلي؟

الركيزة الأولى

حسب سعود الفيصل فإن الركيزة الأولى للسياسة الخارجية في المرحلة القادمة هي في إصلاح العلاقات مع أميركا. فهل هذه مراجعة صحيحة لأزمة السياسة الخارجية السعودية؟ يقول: "والآن علينا إعادة إصلاح العلاقة، وعلينا ان ندرك ان علينا ان نكون أكثر انفتاحا. هذا لن يكون سهلا بالنسبة لنا، وبخاصة لأولئك المنتقلين حديثا من طور البداوة"! ما دخل البداوة هنا. وهل يرسم سياسة البلاد أحد غير الأمراء؟ وهل الشعب مجرد مجموعة من البدو، أم ماذا؟ ام المقصود أن الشعب بدوي ولا يتفهم العلاقة الحميمة مع أميركا؟! ثم من هم البدو؟ النجديون؟ السلفيون الوهابيون؟!. وقال: "كثيرون من البدو عندنا ما كانوا مختلفين كثيرا عن صورة رعاة البقر (الكاوبويز) عندكم، كرجال مكتفين ذاتيا

لا يجيدون التكلم عن أنفسهم".
أما طرق إصلاح العلاقات مع أميركا فعبر أربع طرق:
١ ـ القيام بحملة إعلامية لتحسين صورة المملكة، تستهدف الوصول الى المواطن الأميركي، سواء عبر الإعلانات وإبراز شخصيات موالية أميركية وغيرها للمساهمة في الحملة، عبر شركات العلاقات العامة. وقد بدأت المملكة بالفعل هذا النهج ـ الذي لا يفيد حسبما نعتقد ـ منذ أشهر عدّة، وخصصت عشرات الملايين من الدولارات لهذا الغرض. لقد أصبح مجرد ذكر إسم السعودية باعثاً على الإشمئزاز وهذا ليس من صنع أجهزة الأعلام بل من يحركها من السياسيين، لأنها في المجمل تتناغم مع السياسة الأميركية وتأثيرات البيت الأبيض. ولو كان آل سعود يدركون ـ وهم لا يريدون أن يدركوا ويتعلموا من أخطائهم ـ إذن لقرأوا كتاب سفيرهم غازي القصيبي الأخير حول موضوعة الإعلام والعلاقات السعودية الأميركية، حتى يكتشفوا أن هذه الوسائل لا تفيد بل قد تزيد الأمور سوءً.
٢ ـ القيام بحملة علاقات عامة مكثفة تستهدف مستشاري الرئيس الأميركي وحكومته وأعضاء الكونغرس ومجلس الشيوخ. بمعنى آخر تنشيط العلاقات السعودية أو ما كان يعتقد بأنه (لوبي سعودي).. لتهدئة الحكومة الأميركية المهووسة بالمغامرة التي قد تطيح بأصدق صديق لها في المنطقة بعد إسرائيل وهي السعودية!
حول هاتين النقطتين يقول سعود الفيصل صراحة: "طبعا اليوم في عهد تقدم الاعلام الجماهيري.. يجب ان نتكلم معكم ومع اعلامكم ومع مستشاري حكومتكم ومع مجلسكم التشريعي الكونغرس".
٣ ـ تسهيل التواصل والعلاقات على الصعد الأدنى الإجتماعية والتعليمية والإقتصادية: "علينا أن نسهّل لطلبة مدارسكم زيارتنا هنا، اذ ان اتصالات من هذا النوع ضرورة حيوية". وأشار الامير الى ان" الضرر سيكون كبيرا اذا تعذر على طلبتنا التوجه الى الولايات المتحدة لتلقي العلم، وفعلا هبطت نسبة شباننا الذين يلتحقون بمعاهدكم بسبب الاجراءات التي اعتمدتموها. أنا قلق من حكمة اعتماد مثل هذه الاجراءات، لأن الدرجة التي يمكن أن تحقق الغاية المرجوة منها على الصعيد الأمني لا تبدو واضحة".
٤ ـ وأخيراً تعزيز التعاون الأمني فيما يتعلق بالإستراتيجية الأميركية لما تسميه (مكافحة للإرهاب): "فيما يخص الاهتمامات الأمنية المشتركة بيننا وبينكم، بصفة عمومية، لم يسبق ان كان تعاوننا أكبر أو أوثق مما هو عليه الآن".

الركيزة الثانية

ومجالها الأساس داخلي، وتقوم على إصلاح الوضع الداخلي بالشكل الذي يرضي الولايات المتحدة ولا يسيء للعائلة المالكة وحلفائها (الوهابيين). الولايات المتحدة تريد إصلاحات سياسية وتعليمية وقضائية لإيجاد بيئة متسامحة ضد الآخر في السعودية وخارجها. والأمراء السعوديون من جانبهم لا يمانعون من إقتحام هذا التابو الذي فرضوه على أنفسهم ولكن بهدوء (وتلطف) و (تدرّج) حتى لا تحدث ردود فعل عكسية تحطم حكم العائلة المالكة. بيد أن الأميركيين لا يريدون الإنتظار ومشي السلحفاة. والسعوديون لا يعترفون أو يعترفون بخجل تجاه مسؤوليتهم لما حدث في نيويورك وواشنطن أو ما يسميها السلفيون (غزوة مانهاتن!).
يتساءل سعود الفيصل أمام الوفد الأميركي "أمامنا تحد آخر هو كيفية توصيل الحقيقة عن أنفسنا، هل نحن حقا مركز تفريخ للارهاب؟ هل يدفعنا رجال الدين عندنا في هذا الاتجاه؟". بالطبع هذه ليست المرة الأولى التي يتساءل فيها الأمير السعودي بمرارة: هل يعقل أننا أصبحنا بين ليلة وضحاها من صديق ودود الى مركز تفريخ الإرهاب؟!
ما أراد تثبيته سعود الفيصل هو الآتي: "إننا بالنظر لهويتنا وما نمثله وحيث هو موقعنا لا خيار لنا الا بالالتزام بالشريعة وتفسيرها، وفي هذا المجال للسعودية تجربة طويلة في التعامل مع الطروحات المتشددة. فعندما فتحت المملكة لأول مرة أبوابها أمام العالم الخارجي أطلقت النار (في مطلع القرن الماضي) على رجل – هو الكابتن البريطاني شكسبير– يرتدي بنطلوناً إفرنجيا، لأنه ظهر مناقضا لمن هم حوله من مرتدي الثوب العربي، وقد أطلقت عليه النار بالرغم من انه كان يقاتل الى جانب الملك عبد العزيز. أيضاً من المعروف ان رجال الدين المحافظين عارضوا الملك الراحل عبد العزيز عندما ادخل جهاز الراديو والتلغراف الى المملكة بحجة ان هذين من (أدوات الشيطان وينقلان الشر). وأيضا كان هناك طبعا من اعترض على السماح للأجانب بدخول بلدنا. فقط بعد الحاق الهزيمة بالغلاة المتشددين، تمكن عبد العزيز من فتح البلاد امام العالم الغربي. ولم يطل الوقت حتى هبطت نعمة الثروة النفطية، وبرغم ممانعة رجال الدين المتشددين فإنه رحب بقدوم الشركات التي نقبت عن النفط واستخرجته".
لكن سعود الفيصل قال بأن المتشددين لم يختفوا نهائيا عن الساحة، ولكنه لا يبرر وصم المملكة بالتطرف: "هل تطرف كهذا عند نفر من مواطنينا كاف ليصبغ السعودية كلها بالتطرف؟ وهل أفعال مماثلة يقترفها أميركيون كافية لجعلها صفة عامة للولايات المتحدة؟.. صحيح تجدون خطباء في بعض مساجدنا يقولون ما لا يجوز قوله، لكن غالبية خطباء مساجدنا يتكلمون عن فضائل السلام. ويبدو لي أن قلّة من الأميركيين سمعوا عن هؤلاء او عرفوا عنهم شيئاً".
الثوابت السعودية حسب النصوص آنفة الذكر يمكن تلخيصها في الآتي:
١ ـ إن العائلة المالكة لا تستطيع وإن أرادت أن تتخلى عن تطبيق الشريعة بصورة معتدلة تناسبها وتجري وفق مصالحها.
٢ ـ إن العائلة المالكة لديها خبرة في قمع المتشددين الدينيين وهم حسب الأمثلة يصنفون ضمن الدائرة المذهبية الرسمية (الوهابية) وهي التي يأتي منها التشدد والخطر.
٣ ـ إن التشدد في المملكة لم ينته، ولكنه لم يوضح لماذا؟ ومن يقف وراءه؟ وما هو دور العائلة المالكة في تغذيته عبر سياساتها؟
٤ ـ إن التطرّف في المملكة جزئي ومحدود في فئات قليلة، وهذا غير صحيح طبعاً.
يبقى أن نلفت النظر الى أن حادثة مقتل شكسبير تمت في معركة جراب عام ١٩١٥، يوم لم تكن هناك مملكة تفتح أبوابها، بل أن نجد لم تكن قد توحدت، لأن

المعركة كانت بين ابن رشيد وابن سعود. وشكسبير كان ممثلاً للحكومة البريطانية وأصرّ على المساهمة في المعركة وقد قتله الأخوان (جيش عبد العزيز!).

الإجراءات السعودية الداخلية المزمعة

أمام اعترافات وزير الخارجية السعودي بوجود التشدد، والزعم بالقدرة في السيطرة عليه، ما هي الإجراءات التي ستتخذها حكومته لمواجهة العنف. أجمل الوزير الإجراءات المزمعة أو التي بُدئ بتنفيذها على النحو التالي:

١ – تعديل مناهج التعليم

أولاً يزعم وزير الخارجية السعودي أن مناهج التعليم في المملكة لا تشجع التطرف وأن كل ما فيها مجرد أمور صغيرة تسعى حكومته لإزالتها. يقول: "انا رئيس مؤسسة الملك فيصل الناشطة جدا (!!) في مجال التعليم في المملكة. إننا ندير مدرسة ابتدائية ومدرسة ثانوية(!!). وفور انصرافنا الى مراجعة نظامنا التعليمي طلبنا من المدرسين قراءة كل الكتب الموجودة في المنهاج الدراسي بهدف تحسين ليس مادة الكتب في حد ذاتها، بل بصورة رئيسية، الرسالة التي تتضمنها.. نحن نفرض على الطلبة القراءة عن الأديان الأخرى، وكان من دواعي دهشتنا أننا وجدنا ان ٨٥ بالمئة من المواد المعتمدة والمدرّسة تدعو الى فهم من يؤمنون بأديان أخرى، و١٠ بالمئة تدعو لتفسير المدرّس، و ٥ بالمئة من مجموع ما يتضمنه المنهاج سيء للغاية. ومن هذا الاستعراض استنتجنا ان نسبة الخمسة بالمئة السيئة للغاية هذه لا يمكنها بقواها الذاتية أن تكون (مركز تفريخ للارهاب) وحتى هذه النسبة يعمل مدرّسونا الآن بهمة على إزالتها".

هذا كلام لا يقوله مسؤول يريد إصلاح وضع بلده. فإصلاح المناهج مطلب وطني قبل أن يكون مطلباً أميركياً. إن البيئة العامة في المملكة وليست مناهج التعليم وحدها هي المسؤولة عن أحادية الفكر والتشدّد وتنشيط دوافع العنف. الإعلام الحكومي والسياسات المستبدة، وخنق الأصوات الحرّة المختلفة، إضافة الى المناهج الدينية ودور المؤسسة الدينية والخطباء، كلها عوامل تشجّع ما ذهبنا إليه. إن التعليم مجرد حلقة من حلقات التوتر التي تعيشها المملكة، والمسؤولية لا تلقى على المناهج فحسب ولا على المؤسسة الدينية ولكن على النظام السياسي الخانق للإبداع والحرية. النظام السياسي الذي يحرم أبناءه من حقوقهم الأولية في التعبير والإختيار، وكذلك الوضع الإقتصادي المتدهور لا يتركان مجالاً للأجيال الجديدة سوى السير باتجاه بوابات العنف.

٢ – تعديل مواعظ المساجد

حول هذا الأمر يقول وزير الخارجية: "لقد باشرنا تقييم ما يقال في مساجدنا، كما أننا بصدد مراجعة مناهج إعداد الوعاظ والمدرسين، وما وجدناه حتى الآن ليس بالسوء الذي تصورناه من قبل.. في كل بلد هناك دائما أناس يتكلمون بسلبية، غير اننا سهلنا اجتماع قياداتنا الدينية في ملتقى للتذاكر حول الرسائل والعظات التي يوجهونا الى جموع المؤمنين في الداخل وفي اوساط المسلمين في عموم انحاء العالم.. هذه الرسائل لا يجوز ان تكون متعصبة او متطرفة، بل وسطية معتدلة ويجب ان تكون صالحة لأن يتبعها الجميع، ونحن نأمل في الا يمضي هؤلاء المشايخ وقتهم في مناقشة كم من الملائكة يستطيعون الرقص على رأس دبوس، بل في أمور أكثر جدوى؟. إنني اذكر هذه الأشياء لأنها تناقض تماما تصور بعض الأميركيين عنا كبلد غارق في المشاكل المستعصية على العلاج، ومثقل بالقضايا المستكبرة على التغيير، ويحكمه وهابيون متطرفون"!

هكذا إذن الأمور سهلة وبسيطة ويمكن حلّها باجتماع وتغيير طفيف في الوجه المليء بالبثور! الحلول سهلة بالطبع وبلمسة سحرية سيسود الأمن والإستقرار وتنقشع معامل تفريخ العنف: كن فيكون! إن هذا التحليل الساذج للوضع هو واحد من مؤشرات حتمية استمرار العنف في المملكة وتصديره للخارج. إن الأمير يريد أن يداوي العنف بالتي هي الداء! يا مشايخ أصلحوا خطبكم! وقرروا لغة جديدة في الشكل لا تتغير في المضمون. من هم هؤلاء المشايخ؟ أليسوا هم أنفسهم دعاة العنف ضد الآخر المواطن قبل الآخر الأجنبي؟ أليسوا هم من اختطف مستقبل أبناء المملكة وحرياتهم؟ كان ينبغي أن نغير العقول الصانعة للمناهج قبل أن نغيّر المناهج والخطب، وكان ينبغي أن تتغير النظرة للحرية في التعبير لكل الجماعات والإتجاهات قبل البدء بتغيير خطبة الجمعة والمنهج الديني المتطرف. ولكن يبدو أن آل سعود يريدون التغيير الشكلي ليس أكثر. يريدون القول لأميركا: أنتم تريدون تغييراً في التعليم وغيره، ونحن كذلك وها نحن نفعل ذلك، وما عليكم إلا انتظار البشائر، فسينقلب لكم دعاة العنف والتطرف بين يوم وليلة الى حملان، وتنقلب العقول الأحادية الى عقول تقبل بالتعددية!

هذا وهم.. لا يصدقه إلا واهم. وأبناء المملكة المعنيون بهذا الأمر قبل الأميركان وحلفائهم لا يرون في هذا حلاً بل هي نيّة مبيّتة للإستمرار في منهج الخطأ الذي لن يخفف من العنف المحلي، وها هي البشائر تترى أمام كل مراقب للوضع الداخلي.

٣ – المشاركة السياسية

للخروج من دائرة العنف، فإن المملكة في مسيس الحاجة الى إصلاح سياسي واقتصادي واجتماعي واسع النطاق، لا تريد العائلة المالكة القيام به، وفي بعض الأحيان لا تستطيع اقتحامه. ولأن الموضوع يأخذ الشكليات، فإن أحد الحلول التي اقترحها سعود الفيصل لإرضاء أميركا (وليس الشارع السعودي) القيام بإصلاحات سياسية، فما هي هذه الإصلاحات. من الواضح ان هناك نيّة من نوع ما لإحداث بعض الإجراءات ولكنها ستكون سطحية أيضاً وقد تكون شديدة التفاهة لا تستوعب طموحات ومطالب المواطنين ولن يكون لها أثر يذكر على مجرى السياسة اليومي شأنها في ذلك شأن إصدار النظام السياسي والمقاطعات وتأسيس مجلس شورى بالتعيين. هذا ما يمكن فهمه من تصريح

سعود الفيصل. فهو يتحدث عن إصلاحات وتغييرات لا تطال جذور الأزمة، لأن الغرض هو إرضاء أميركا ليس إلا، ولكن هل سترضى؟!

يقول الوزير: "أمامنا تحديات أخرى متصلة بالحاجة الى التغيير– مثلا تغيير بنياتنا التحتية، عبر شرعة حقوق مواطنين، وفي طبيعة ومدى مشاركة الناس في التنمية الوطنية ومسارات اتخاذ القرار السياسي. وكنا في العقد الفائت قد نجحنا في انجاز تقدم ملموس في كل هذه المجالات". فهل يفهم مما يلي انتخابات ولا هم يحزنون.. لا للرجال ولا للنساء!

ثم يأتي الوزير الى المزايدة، فالمملكة ـ حفظها الله ـ مهد الحريات والديمقراطية وحقوق الإنسان وهي تحفظ حقوق المواطن!. هذه كذبة جديدة لا تنطلي على طفل سعودي وليس على الأميركيين حماة آل سعود. يقول: "هنا ـ أي في المملكة ـ حقوقنا الأساسية – حقوق الانسان الشخصية والدستورية – تدرّس ويصار الى التركيز عليها في المدارس. وفي هذا السياق أسسنا مفوضية وطنية لحقوق الانسان بإشراف الملك، لضمان الا تتعرض حقوق أي شخص لتجاوز أو تعد من جانب هيئة حكومية". لا نعلم أين تدرس هذه الحقوق؟ لعله أراد القول أن هناك مادة تدرس إسمها (التربية الوطنية!). أما مفوضية حقوق الإنسان، فقد وعدنا وزير الداخلية قبل ثلاث سنوات بتأسيس منظمتين إحداهن حكومية والأخرى شعبية! ولكنهما لم تريا النور، وإذا ما رأتاهما فلن يكون لهما أي قيمة، اللهم إلا القول للعالم: نحن أيضاً عندنا منظمة حقوق الإنسان! تماماً مثلما قالوا: نحن أيضاً عندنا دستور وبرلمان!!

لماذا ستكون التغييرات فوقية ولا دخل للمواطن لها؟ يجيب الأمير بمانشيتات ألفتها أسماع المواطنين منذ زمن: "شيئا واحدا لن نقدم عليه البتة، عبر تعديلات او تغييرات مبتسرة، هو كسر الوشائج الاجتماعية التي تجمع شعب المملكة. فاذا ما فعلنا ذلك فاننا سنعود القهقرى الى عهود القبلية والعشائر والتقاتل والتناحر بينها". ما هو هذا الشيء؟ وما هي الثوابت التي لا يريد المساس بها، وما هي النتيجة التي يمكن الخروج بها؟! شعب المملكة لا يستحق الحرية، وإذا ما أعطي إيّاها فسيعود القهقرى. جملة تتكرر وستتكرر كمبرر لاحتكار السلطة بيد العائلة المالكة. ولكن متى سيكون الشعب جاهزاً للتغيير؟ وكيف نؤهله لكي يكون مشاركاً فيه، أي ما هي الخطوات التي يجب على الدولة القيام بها كشرط مسبق لما يدعيه الأمراء؟ فهذا أمرٌ لا يناقش ولا يسعى إليه. فالغرض هو الإقصاء السياسي للشعب بمجمله.

ولنقرأ هذا التبرير مرّة أخرى فهو كسابقه: "نحن لن نروّج من فوق لتغييرات من دون التحسب بعناية لتأثيراتها المحتملة على التماسك الاجتماعي! وبالمثل، الالتزام بالشريعة الاسلامية التي ستظل القوة الموحدة داخل المملكة، لأن كسر نظام الاحكام والضوابط الحالي من شأنه المجازفة بإعادتنا الى شريعة الغاب. لهذا سنعتصم بالشريعة الاسلامية التي لا تكسر ولا تفصم عراها".

جزاك الله خيراً!! فلقد اعتاد الأمراء أن يجلسوا على كرسي الوعظ، ولكن أمام الأميركان هذه المرّة! والشريعة الإسلامية توضع هنا قبالة الإصلاح والتغيير والحرية والشورى الصحيحة الملزمة القادرة على إيقاف التدهور السياسي والإقتصادي والإجتماعي. هذا هو مفهومهم للشريعة. إنهم يستظلون بها ويرجعون الى الطنطنة باسمها كلّما حوصروا وطولبوا بالإصلاح. الإصلاح وليس الفساد ـ من وجهة نظرهم ـ نقيض للشريعة الإسلامية. زاد الله في علمكم!

بندر وبوش: تنازلات جديدة لارضاء الحامي الامريكي

إصلاح تدريجي أم لا إصلاح أصلاً!

وبرر احتمال قيام السعودية بما يمكن فهمه على أنه إصلاحات تدريجية بالقول: "حتى الآباء المؤسسون (في الولايات المتحدة)، الذين تكلموا وكتبوا باستفاضة عن المساواة والقيم الحرة، لم يتبنوا التصويت العام في بداية الأمر، وحدهم ملاك الأراضي كان يحق لهم التصويت والمشاركة في حكوماتكم، وبمرور الزمن ازداد عدد الحقوق، وما يصحبها من مسؤوليات". إذن، نحن أمام إصلاحات لا يشارك فيها المواطن، بعبارة أخرى: لا

٤ ـ تعديل السياسة الأميركية في الشرق الأوسط

قال وزير الخارجية أن نظرة الآخرين

لأميركا تختلف عن النظرة السعودية التي تشعر بشيء من المسؤولية تجاه الأميركيين في المنطقة، تلك المسؤولية نابعة - حسب وزير الخارجية - من رغبة السعودية "ضمان ألا ترتكب الولايات المتحدة أخطاء في المنطقة"!.
وحدد وزير الخارجية ثلاثة اتجاهات في السياسة الأميركية اعتبرها خاطئة وأن المملكة تسعى لإصلاحها.
الأول: سعي الإدارة الأميركية لتغيير النظام السعودي، أو لتقسيم المملكة، أو ابتزازها سياسياً عبر التهديد المباشر. قال سعود الفيصل أن الخطأ الأول هو: "تغيير نظام الحكم هنا" أي في السعودية، ولكنه لم يفصل فيه، أو أن الناقل - جريدة إيلاف الإلكترونية - حذفت ما يتعلق به. وبديهي فإن كل ما تقوم به السعودية هو لتلافي هذا الأمر، وعلى هذا الأساس بنت سياستها الخارجية وتحاول المواءمة بين وضعها الداخلي ومتطلبات السياسة الأميركية.
الثاني: موضوع إسقاط نظام صدام، لما له من تأثيرات واسعة على الوضع الداخلي السعودي، وعلى مصير نظام الحكم نفسه بل الدولة السعودية ذاتها. فقد شكك وزير الخارجية ابتداءً في قدرة أميركا على إحتلال العراق عسكريا وتنصيب حكومة عميلة، وقال: "لم يسبق لي ان قرأت عن او رأيت بأم العين في التاريخ كيف تصمد حكومة نصبّتها قوى احتلال عسكري اجنبي بعد انسحاب المحتل. إنني لا احسد أبدا الجنرال الذي سيجد نفسه في صباح اليوم التالي حاكما على عشائر شمّر وعنزة، والأكراد، والشيعة، والسنّة والجماعات الأخرى في العراق. ان حكم العراق غاية في الصعوبة. اننا قلقون من اليوم التالي لاطاحتكم بالحكم العراقي. كيف ستحكمون العراق؟ وماذا سيكون هدفكم؟ وهنا لدينا اراء خاصة حيال هاتين المسالتين".
المملكة تريد المساهمة في عملية إسقاط صدام وتشكيل البديل رغم كل الكلام الذي يقوله الأمراء السعوديون. وهم إذ يسايرون السياسة الأميركية في هذا المضمار مسايرة المضطر، يريدون تغيير صدام وإبقاء المؤسسة، وعدم تمكين الأكثرية الشيعية من حكم العراق. هذه آراء السعوديين الخاصة التي أشار اليها سعود الفيصل.
وشرح سعود الفيصل مخاوف بلاده أو بعضاً منها على هذا النحو: "نحن متخوفون من نتائج ما يمكن ان تفعلوه. واذا أقنعتم البريطانيين بالقتال الى جانبكم، فانهم سينسحبون لاحقا، وسنبقى نحن وحدنا بمواجهة العواقب.. لا أستطيع تصور كيف ستجلب الحرب الاستقرار الى العراق. ها هو رئيس الأركان في الجيش التركي يقول صراحة انه في حال نشأت قلاقل وحالة من الاضطراب لن تنسى تركيا مطالبتها القديمة بكركوك. والقادة الايرانيون قالوا كلاما مشابها بالنسبة لمشاعرهم تجاه سكان العراق من الشيعة وعتبات العراق المقدسة. يجب ان يكون هناك احترام للمسؤولية في المحافظة على الوضع الراهن في ما يخص الحدود".
من جهة أخرى "قد يقرر العراق، على سبيل الانتقام بضرب الكويت وربما السعودية. ثم ماذا سيحصل للاقتصاد العالمي الذي يمر هذه الأيام بمرحلة دقيقة؟ لقد فقد الناس الثقة بمؤسسات الاقتصاد الرأسمالي، في آسيا، وفي اليابان خصوصا. وحتى اذا اختارت السعودية رفع انتاجها النفطي بمعدل مليونين الى ثلاثة ملايين برميل في اليوم، فان ما سنحاوله لن يكفي اذا خرج النفط العراقي والنفط الكويتي من هذه السوق. وهنا أشير الى حقيقة أكيدة هي ان النفط الروسي لن يغطي النقص في العرض. السؤال يظل كما هو، أي ماذا ستفعلون في اليوم التالي؟ كيف ستديرون النظام الجديد؟ ما الذي ستفعلونه؟".
الثالث: الموضوع الفلسطيني، حيث رأى سعود الفيصل أن الولايات المتحدة لا تمارس أي شكل من أشكال الكبح والمنع لعملية القتل والتدمير والإستهداف للشعب الفلسطيني، وقال إن ذلك يجري باستخدام الأسلحة الأميركية وهو مخالف لـ"سياسة الحظر الأميركية على استخدام أسلحة أميركية ضد المدنيين التي لا تبدو انها عرفت طريقها نحو التطبيق". وأشار سعود الفيصل الى التحول في السياسة الأميركية تجاه إسرائيل الذي تجاوز موضوع تسليحها وضمان أمنها، الى التخلي عما جرت عليه السياسة الأميركية منذ عهد نيكسون فيما يتعلق بالعمل لتأمين السلام في الشرق الأوسط. وأضاف: "عندما تريد الولايات المتحدة فرض السلام الإسرائيلي (أي السلام وفق الشروط الاسرائيلية) تحت حكم الليكود ووفق رغباته، سيكون من المستحيل وصف هذه السياسة الا على انها سياسة معادية لنا".
الطريف في الأمر، أن وزير الخارجية السعودي أشار الى "أننا نبذل جهودا محمومة، لمساعدة الفلسطينيين على تبني دستور فعال يكفل قيام مؤسسات ديمقراطية وحماية الحقوق الديمقراطية"! ولكن ماذا عن الديمقراطية السعودية ومؤسساتها، وماذا عن دستور السعودية الفعّال، أم أن الأمر مجرد مسايرة الضغط الأميركي على السلطة الفلسطينية من قبل أنظمة متأمركة غير ديمقراطية تطالب بالإصلاح للخارج وتنسى نفسها؟!
وأخيراً، ورغم أن السعودية تمرّ بأحلك أيامها منذ تأسيسها، فإنها تريد إشاعة دعاية كاذبة تقول بأن العائلة المالكة خرجت سليمة معافاة من كل الأزمات التي مرّت بها. وأزمتها الحالية الداخلية ومع أميركا هي من النوع الذي سيتم تجاوزه. والحقيقة المرّة التي يجب على الأمراء السعوديين أن يعترفوا بها، هي أن هذه الأزمة حصاد لأزمات منسية أو جرى تناسيها، وهي الأخطر بينها، وحلها يتطلب تحولاً عميقاً في السياسة السعودية وإلاّ خرجت محطمة. لكن للأمير سعود الفيصل رأي آخر - على الأقل أمام الإعلام وضيوفه الأميركيين - فهو يرى أن السعودية صامدة أمام التهديدات والتحديات التي أفرزتها أحداث ١١ سبتمبر: "عندما كنت أعيش في الولايات المتحدة كان الرأي السائد ان الرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر هو موجه المستقبل، وان المملكة العربية السعودية لن تصمد أمام التحدي الذي يشكله، والسبب أنه كان ينظر إلينا على أننا ظاهرة بدائية تعجل كثيرون غير مرة توقع موعد موتها.. بطبيعة الحال أنا لا اتفق مع هذه النظرة".
ونحن أيضاً!

مقال لتركي الفيصل يثير سخطاً شعبياً

متحدون ضد من ولمصلحة من؟

تحت عنوان متحدون ضد الإرهاب نشرت صحيفة الواشنطن بوست في ٩/١٧ الماضي مقالاً للأمير تركي الفيصل أراد أن يبيّن فيه عمق التحالف السعودي الأميركي، وكيف خدمت السعودية واستخباراتها المصالح الأميركية الاستراتيجية، حيث تدخلت السعودية في كثير من القضايا التي لا علاقة لها بها ولا تعنيها. الغرض من المقال واضح للغاية: ردّ على الحملة المعادية للسعودية وكيف أنها تستطيع أن تقدم نفس الخدمات القديمة للإستراتيجية الجديدة الأميركية التي تحولت من محاربة الشيوعية الى محاربة الإسلام والحركات الاسلامية.

حول تعاون السعودية مع أميركا في مكافحة الشيوعية والحركات المعادية للغرب عموماً قال تركي: "عملت الادارة العامة للمخابرات (السعودية) ووكالة الاستخبارات المركزية الاميركية معاً لمكافحة المنظمات الارهابية ذات التوجه الشيوعي حول العالم، اذ تبادلنا المعلومات حول "أبو نضال"، الى جانب منظمة "الالوية الحمراء" الايطالية، و"بادر ماينهوف" الألمانية، و"الجيش الاحمر الياباني"، بالإضافة الى الكثير من المنظمات والمجموعات الاخرى التي تهدد المصالح الاميركية ـ السعودية". فهل هددت هذه الحركات المصالح السعودية، أم أن مصالح أميركا والسعودية متطابقة كما يريد أن يوحي الأمير؟ أو أن الصحيح فعلاً هو أن السعودية مجرد تابع للمخابرات الأميركية؟

والقضية أكبر من تعاون مخابرات، بل انسياق تام في دعم المصالح الأميركية حتى وإن كان ذلك خلاف المصالح السعودية. فالأمير تركي يعترف بما هو معلوم "أن زيادة السعودية لانتاج النفط، في منتصف الثمانينات، وهي الخطوة التي أدت الى خفض أسعار النفط ومهدت السبيل أمام فترة ازدهار عالمي... ومساهمة السعودية في القتال ضد "الكونترا" في نيكاراغوا، ربما لم تكن لتقع كذلك، لولا التعاون السعودي ـ الاميركي".

وندد تركي بأحداث سبتمبر، وزعم أمراً غريباً هو أن "السعودية دولة عانت من الإرهابيين خلال الأربعين عاماً السابقة". متى وكيف ومن هم الإرهابيون الذين عانت السعودية منهم؟ إن من تعاون مع أميركا ضدهم لم يكونوا أعداء السعودية ولم يبتدئوها بالعداء كالكونترا والألوية الحمراء وغيرهما. الدليل الذي ساقه تركي هو أن والده الملك فيصل قتل "نتيجة عمل إرهابي" هل هذا دليل؟ كلنا يعلم أن مقتل فيصل كان نتيجة خلاف بين العائلة المالكة.

فقاتل الملك كان أميراً هو فيصل بن مساعد بن عبد العزيز، الذي قتل عمّه لأن الأخير قتل أخاه خالد. فما دخل هذا بالإرهاب، اللهم إلا أن يكون قد قصد وجود أمراء إرهابيين، وفوق هذا فهناك شكوك كبيرة في أن مقتل فيصل كان قد تم بتخطيط من المخابرات الأميركية نفسها.

وحول تعاون السعودية مع المخابرات الأميركية في قضية ابن لادن، يقول تركي الفيصل التالي: "بصفتي مديرا للمخابرات العامة، كنت اعتبر اسامة بن لادن، لبعض الوقت، هدفا لإدارة المخابرات. وعندما تبنى الارهاب عام ١٩٩٤، اتخذت الحكومة السعودية خطوة غير مسبوقة وجردته من جنسيتها. وفي عام ١٩٩٦، عرض الرئيس السوداني تسليمه للسعودية، شريطة موافقتها على عدم محاكمته، بيد ان السعودية رفضت ذلك العرض، لأننا نريد ان يمثل بن لادن أمام العدالة. تبادلنا، في ذلك الوقت، وبتوجيه من القيادة السعودية، المعلومات التي حصلنا عليها حول بن لادن مع وكالة الاستخبارات المركزية الاميركية. وفي عام ١٩٩٧، أسس الأمير سلطان بن عبد العزيز، وزير الدفاع، لجنة استخباراتية مشتركة لتبادل المعلومات حول الارهاب، بصورة عامة، وحول بن لادن و"القاعدة" على وجه الخصوص".

هذا بالرغم من أن السعودية لم تشر الى أي دور قام به بن لادن داخل السعودية. فقد حاولت تلبيس قضية الخبر الشيعة، في حين حملت أحداث عنف وتفجيرات الرياض مسؤوليتها لجماعات صغيرة قالت الحكومة أن لا علاقة لها بالخارج. وابن لادن فيما يبدو لم يتقصد أمراء السعودية وملوكها، وإن كان هذا الأمر قد لا يدوم بحسب رأي كثيرين، خاصة وأن العائلة المالكة جعلت من نفسها حرباً ضدّه حتى بعد تجريده من الجنسية السعودية.

المهم أن التعاون السعودي الأميركي في ميدان الإستخبارات، فيما يتعلق بالعراق وأفغانستان والسودان والحركات الإسلامية وإيران وكثير مما سكت عنه معروف في تفاصيله العريضة، ونحن ننتظر منه هكذا مقالات تتحدث بصراحة وعلانية حول الدور السعودي، حتى وإن كان المخاطب هو الرأي العام الغربي ولأغراض أخرى أهمها توضيح استعداد السعودية لخدمة الإستراتيجية الغربية وأنها حاضرة بالخدمة دائماً لأصدقائها الأميركيين.

ويحوي مقال تركي الدعائي تقييماً غير

صحيح للأوضاع السعودية، فهو يقول بأن تغييرات كثيرة طرأت على السعودية بعد عام على تفجيرات نيويورك.. هذه التغييرات تستهدف إقناع الرأي العام الأميركي بأن السعودية جادة في القضاء على ما يسمى بالإرهاب المنطلق من أراضيها. والأمير تركي الفيصل يختصر الأمر فيتحدث عن التغييرات التي حدثت في أربعة حقول يلح الأميركيون على إيجادها وهي:

١ - يقول الأمير بأن الرأي العام السعودي قد انقلب بشأن تأييده للعمليات في نيويورك فهناك "ثمة إدانة واسعة للتطرف، فحتى أكثر مواطنينا تشددا، بدأوا يؤيدون الاعتدال. أما القيادة السعودية - بشقيها العلماني والديني - فقد حذرت الذين لا زالوا يؤيدون الافكار المتطرفة". وهذا الكلام غير صحيح وغير دقيق.

فالتأييد لابن لادن عارم، والعداء للولايات المتحدة الأميركية لم يشهد اتساعاً له من قبل في تاريخ العلاقات ويشمل كل النخب والقطاعات الشعبية. والحكومة السعودية (بشقيها العلماني والديني كما يقول) لا تستطيع أن تغير هذا الواقع، ما لم تغير الولايات المتحدة نفسها سياستها.

٢ - يقول تركي الفيصل أن "الاصلاحات السعودية تتواصل على نحو مطرد، فصحافتنا تتبع نهجا منفتحا بصورة متزايدة، فضلا عن ان وسائل إعلامنا تنقل نقدا صريحا للحكومة والمشكلات الاجتماعية. يضاف الى ذلك، ان نظامنا القضائي يشهد حركة اصلاح، وبات التمثيل القانوني الكامل للمتهم أمرا إلزاميا. الشرطة باتت الآن مطالبة باتباع اجراءات قضائية متشددة في إصدار المذكرات وحبس المتهمين وإبلاغ أقرب الاقرباء عند حبس متهم بغرض التحقيق". بعض هذه الأمور صحيحة، ولكن لا يجب إعطاؤها أكثر من حجمها، فالصحافة المحلية اتسع هامش الحرية لديها بنسبة ضئيلة للغاية، وهي لا تنقد السياسة الحكومية الداخلية والخارجية بقدر ما تنقد بعض الأوضاع المستفحلة بالسوء. أما النظام القضائي فلم يتغير منه شيء كثير، والإصلاحات بشأنه تكاد تكون معدومة. ولا يزال الجهاز القضائي فاسد، وقد صدر مؤخراً كتاب حول

تركي الفيصل سفيراً في لندن

ربما كانت استقالة الأمير تركي الفيصل كرئيس للإستخبارات العامة في ٣١ أغسطس من العام الماضي ٢٠٠١ جاءت نتيجة للنقد الذي وجهته دول غربية عديدة بسبب الدور المزدوج الذي لعبته الإستخبارات السعودية برئاسة تركي الفيصل سواء في دعم حركات العنف (الجهادي!) أو في مواجهتها. وقد تبيّن لدى دوائر استخبارات عديدة أن ما يسمّى بالعنف الأصولي لم يكن نتيجة النشر المتعمد للفكر المتطرف القادم من السعودية فحسب، بل كان بتمويل السعودية أيضاً سواء كان الممولون أفراداً أو جماعات أو مؤسسات حكومية بل وجهاز استخبارات.

دول عديدة عربية وإسلامية وجهت بصراحة أصابع الإتهام الى الحكومة السعودية، وقد توترت علاقات المملكة بعدد من الدول لهذا السبب: بينها الجزائر، ودول آسيا الوسطى الإسلامية، والباكستان، ومصر، والأردن وغيرها.

هذا ليس أمراً جديداً. لكن أن تكون الإستخبارات السعودية ممولة لبعض جماعات العنف، إما لاتقاء شرّها، أو للإستفادة منها ضمن حسابات استراتيجية، وحين ينقلب السحر على الساحر، خاصة فيما يتعلق بالطالبان والقاعدة، فإن السهام لا بدّ وأن توجّه الى السيّد المدير والمموّل. ربما لهذا السبب تمّ إدراج تركي الفيصل في لائحة المتهمين بأحداث نيويورك رغماً عنه.

الآن أصبح تركي الفيصل في أقل التقادير مثار شكّ، فلمَ اختارته الرياض سفيراً لها في لندن، خاصة وأن الأخيرة - كما أشيع - لم تشعر بالإرتياح من السفير السابق الدكتور غازي القصيبي، خاصة في سنوات عمله الأخيرة، وتسطيره الشعر المؤيد للعمليات (الإستشهادية) ضد الصهاينة؟

غير وزارات السيادة التي يسيطر عليها الأمراء (الخارجية والدفاع والداخلية) ووزارات عديدة أخرى وإمارات المناطق، والإلتفاف على ما تبقى من وزارات ومؤسسات عبر بدعة (المجالس العليا).. تميل العائلة المالكة منذ زمن الى تعيين عدد من أبنائها في السفارات الحساسة في عدد من البلدان المهمّة. فالرؤية الملكية تعتقد بان تعيين أمراء في هذه السفارات يفتح مسالك مختلفة للعلاقات بين المملكة وهذه الدول، لا يستطيع السفراء العاديون القيام بها، أو لا يؤتمنون في القيام بها، أو لا يستطيعون (شخصنة) السياسة بالشكل الذي يخدم المسؤولين السعوديين.

من الواضح أن نموذج الأمير بندر في واشنطن عُدّ ناجحاً في إشاعة الدفء الى العلاقات بين السعودية وأميركا لسنين عديدة، ولولاه ربما كانت العلاقات قد تدهورت في الآونة الأخيرة بشكل كبير. الآن جاء الدور على لندن، فالرياض تنظر لهذه العاصمة الأوروبية كأحد الكوابح للسياسة الأميركية الجديدة التي تميل الى الطيش والى (استهداف) السعودية نفسها. وهي بتعيينها الأمير تركي الفيصل، مترافقاً مع المزيد من الصفقات التي تمنح الى لندن، تحاول الإستفادة من بريطانيا في تعديل سياسة واشنطن تجاه المملكة على نحو خاص.

الهدف الآخر من تعيين الأمير تركي الفيصل، هو أن لندن تضم الكثير من الحركات الاسلامية التي تتلقى الدعم السعودي، أو كانت تتلقى الدعم، قبل أن تصنّف في خانة الإرهاب، إضافة الى وجود جهات وشخصيات معارضة سعودية أو تصنّف ضمن نطاق المعارضة، ووجود الأمير تركي يعطي الحكومة السعودية بعض الأوراق للإستفادة منها في علاقاتها الحاضرة، أو درء بعض الأخطار التي يمكن أن تنشأ.

(محنة القضاء السعودي) حوى بالوقائع كيف أن القضاء ورجاله فاسدون مرتشون في كثير منهم وأن الجهاز القضائي واقع في مجمله تحت سيطرة الأمراء.

٣ ـ وتحدث الأمير تركي عن إصلاح التعليم والمناهج، وأطلق كذبة كبيرة حول الجامعات الأهلية. قال: "عهد الى نخبة رفيعة المستوى إعادة النظر بنظامنا التربوي والتعليمي وإصلاحه. ويمكن افتتاح جامعات خاصة الآن، لتتنافس مع القطاع التربوي الحكومي".

٤ ـ وأخيراً أتى الى موضوع المرأة، حيث حجة ال سعود ضعيفة للغاية. فهي حتى اليوم ممنوعة من قيادة السيارة ومن العمل الأهلي في معظم فروعه، وكل ما أنجزه النظام هو السماح للمرأة بأن تصدر بطاقة هوية خاصة بها. هذا هو كل الإنجاز. يقول: "بدأنا في اصدار بطاقات هوية للنساء، اعترافا بحقوقهن". ويضيف معدداً الإنجازات في هذا المجال: "التعليم النسائي قد تم تحويله من السلطات الدينية الى وزارة المعارف المسؤولة أيضا عن تعليم الذكور". وهذا ليس انجازاً للمرأة، بل هي عملية سياسية أريد منها تحجيم سلطة المؤسسة الدينية، التي تشرف على التعليم النسائي منذ تأسيسه عام ١٩٦٠ وتجاوباً مع الضغوط الداخلية والأميركية الخارجية.

وبشكل عام فقد اعترف تركي الفيصل بأن بعض هذه التغييرات على الأقل كان نتيجة أحداث ١١ سبتمبر حيث "سرعت من عملية التغيير وإعادة النظر من جانبنا".

وأخيراً فإن النتيجة التي يريد الوصول اليها هي أن الشراكة السعودية الأميركية (ثابتة) وهما يواجهان خطراً مشتركاً (الإرهاب حسب التعريف الأميركي) حيث يقول: "لنتذكر ان البلدين يواجهان الخطر نفسه، فأسامة بن لادن استهدف السعودية قبل استهدافه الولايات المتحدة". بل أن ابن لادن حسب الأمير استهدف دق أسفين في العلاقات السعودية الأميركية: "اذ ان اختيار بن لادن ١٥ سعوديا لعصابة القتلة أمر لا يمكن تفسيره سوى انه جاء كمحاولة لإفساد العلاقة الوثيقة بين المملكة العربية السعودية والولايات المتحدة.. فلنفوت على المتطرفين فرصة تحقيق انتصار بإضعاف الشراكة القائمة بين بلدينا، ولنظل اقوياء. ومهما رأينا من عيوب في بعضنا بعضا يجب ان نواجهها ونتغلب عليها معاً".

"وهابيون" في واشنطن

تقول مصادر سعودية مقرّبة من الإتجاه الديني الرسمي (الوهابي) أن وزارة الخارجية الأميركية وبالتعاون مع نظيرتها السعودية ووزارات سعودية أخرى، دعت ضمن حملتها الإعلامية بين شعوب العالم الإسلامي عدداً من المشايخ السعوديين (المعتدلين حسب التصنيفين السعودي والأميركي) لزيارة الولايات المتحدة والتعرّف عن قرب على أوضاع المسلمين هناك، وكيف أنهم يتمتعون بحريّة في ممارسة شعائرهم الدينية، ويتمتعون بحقوق المواطنة.

وقالت المصادر أن وزارة الخارجية الأميركية استقبلت حتى الآن نحو ٢٧ شخصية دينية سعودية رسمية التقت مع عدد من المسؤولين في الوزارة ووزارات أميركية أخرى، كما تم ترتيب لقاءات مع عائلات أميركية مسيحية للتعرف عن قرب على العقلية الأميركية الشعبية.

وتضيف المصادر السعودية، أن الدعوة الأميركية واحدة من مجموعة خطوات ترمي لإصلاح العلاقات السعودية الأميركية و(ترشيد) الشارع السعودي المعادي للولايات المتحدة. كما وتأتي الدعوة التي ستجرب في دول إسلامية أخرى ضمن الحملة الأميركية الدعائية لإصلاح سمعتها بين الدول الإسلامية متزامنة مع تخصيص ١٥ مليون دولار تمّ الإعلان عنها ضمن الحملة الإعلامية في تلفزيونات الدول العربية والإسلامية.

على صعيد آخر، يبدو التيار السلفي بحجمه العريض في مواقع نفوذه في نجد شديد التحدّي والإصرار على عدائه لسياسات الولايات المتحدة الأميركية، خاصة بعد الضغوط التي مارستها الأخيرة على العائلة المالكة لتحجيم التيار الوهابي في حقلي الإرشاد الديني والتعليم ومؤسسات الدولة الأخرى، حيث يتهم هذا التيار بأنه أداة تفريخ الإرهاب داخل وخارج المملكة. بمعنى آخر، إن ما يقوم به التيار السلفي لا يعدو أن يكون ردّ فعل طبيعي للدفاع عن مصالحه وأتباعه، وهذا أدّى الى تزلزل أركان النظام السعودي نفسه الذي اعتمد دائماً على التسالم بين علاقاته مع واشنطن وبين دور متميّز وواسع للتيار السلفي الوهابي في الدولة، حيث أصبح اضطراب العلاقة بين الطرفين الوهابي والأميركي وإرضائهما واحدة من أهم المعضلات التي تواجه نظام الحكم في الرياض.

وبذا، فإن للرياض أهدافها من تقريب التيار الوهابي الى واشنطن، أو إعادة الدفء الى العلاقة التي كانت بينهما. فقد كان هذا التيار النموذج المعتدل في عيون مسؤولي الإدارة الأميركية لعقود عديدة، وقد اشتركا في مهمّات تبدو في ظاهرها تخدم الطرفين تحت إشراف المايسترو السعودي: مثال ذلك مكافحة الشيوعية، ومحاربة الروس في أفغانستان ومحاربة المدّ الثوري الايراني.

لا ينفي هذا بالطبع ما يسميه التيار الوهابي الخلاف العقدي بين الطرفين، ولا يبدو أن هذا التيار كان يدرك أو أدرك الآن أن ما كان يعتقد أولوياته في العمل الديني كانت تصبّ في النهاية ـ وتحت إشراف العائلة المالكة ـ في مصلحة الإستراتيجية الكونية للولايات المتحدة. بيد أن السنوات الأخيرة حوّلت الوهابية من نموذج للإسلام المعتدل التي تحبّذه واشنطن الى العدو الرئيسي المحتمل، كما وضع واشنطن في أعلى سلّم المستهدفين لدى التيار الوهابي، بعد أن كانت الشيوعية والتيارات الإسلامية المختلفة معه.

مبروك..

السعودية تحتل الترتيب ١٢٥ في حرية الصحافة

منظمة "مراسلون بلا حدود" أعدّت تقريراً فريداً من نوعه حول الحريات الصحافية في العالم وترتيب دول العالم بناء على ذلك. أكثر الدول العربية جاء ترتيبها فوق المائة (بين ١٣٩ دولة) وقد جاء ترتيب بعضها على سبيل المثال على هذا النحو: مصر احتلت مقعد ١٠١، واليمن ١٠٣، وجاء ترتيب السعودية ١٢٥ أي أن ١٤ دولة فقط في العالم هي أسوأ من السعودية! مثل: سوريا ١٢٦، ليبيا ١٢٩، والعراق ١٣٠.

تصريحان تقرأهما في هذا العدد من (الحجاز): واحدٌ للأمير سلمان الذي يسيطر هو وأبناؤه على أهم مؤسسة صحافية سعودية (الشركة السعودية للأبحاث والتسويق)، ألقى كلمة في مبنى صحيفة الوطن السعودية، أبدى فيها امتعاضه من كتابات بعض الصحافيين السعوديين، فقد تبين لسموه أن هؤلاء استغلّوا الحرية!. أما التصريح الثاني فهو للأمير سلطان وزير الدفاع، الذي أشار في تصريح له الى ما أسماه بـ (صحافتنا الحرّة)! وهذا تعبير جديد يظهر لأول مرّة في تاريخ الصحافة السعودية التي لا بدّ وأنها قد استمتعت كثيراً بـ (نظام المطبوعات) السعودي الجديد!

الصحافة السعودية، بل الإعلام السعودي بكل تفرعاته يعاني من تآمر السلطتين الدينية والسياسية، فكم من صحافي طرد من عمله، وقائمة الصحافيين الذين استدعتهم أجهزة الأمن وحذروا وهددوا تكاد تشمل كل الصحافيين، فلا يكاد يوجد صحافي سعودي إلاّ وله قصّة مع جهاز الأمن وتدخله. كيف لا يكون ذلك ووزير الداخلية الأمير نايف هو المسؤول الأول عن الإعلام! عبر ما يسمى بـ (المجلس الأعلى للإعلام).

كيف لا يكون ذلك وفي كل صحيفة عدد من المراقبين الأمنيين والصحافيين المعارين من وزارة الداخلية؟ وهل يمكن أن تكون هناك حرية صحافة في ظلّ نظام تسلطى مثل نظام الحكم في المملكة، وهو كما نعلم آخر نظام في منطقة الخليج العربي الذي لم يأخذ لا بشكل ولا جوهر النظام السياسي الإنتخابي الحديث؟!

عدد كبير من المجلات السعودية تصدر من الخارج وهي في معظمها غير سياسية بل أدبية تتحدث عن الشعر النبطي!، وقد سمح لها بالتوزيع ولم يسمح لها بالطباعة في الداخل، وهناك احتمال كبير في السماح لها بذلك قريباً وهذا إنجاز عظيم للسلطة الإعلامية السعودية! إضافة الى إنجاز حقن محطتي التلفزيون الحكوميتين (غصب ١ وغصب ٢!!) بجرعات غير معتادة بالمواد الدينية السلفية، بهدف استرضاء التيار السلفي من جهة، وتأكيد حقيقة أن الإستبداد الديني الوهابي يدعم الإستبداد السياسي للعائلة السعودية المالكة.

لا يمكن أن تشهد السعودية حرية في الإعلام والصحافة قبل أن يكون هناك اقتناع حقيقي من قبل أمراء العائلة المالكة بأن البلاد بحاجة الى إصلاح سياسي، وهذا أمرٌ لم يحدث حتى الآن، وبالتالي فإن الحرية الإعلامية عموماً لا تدخل ضمن أي إطار سياسي يضمنها ويصلح من وضعها. فطالما كان الإستبداد سمة السياسة السعودية، وطالما أن الإصلاح بعيد المنال ولا يحوز على رضا النخبة الدينية والسياسية، فإن بؤس الإعلام الأهلي او الحكومي مجرد نتاج لتلك العلّة، التي بدت وكأنها تتحوّل في غير صالح الحكومة السعودية من جهة أن الشعب السعودي لم يعد متأثراً بالإعلام الحكومي، بل بالإعلام الخارجي، وقنوات الفضاء الأجنبية والعربية، وصار يبحث عن الخبر من خلال شبكات الإنترنت. وبذا فقدت الحكومة أدوات التوجيه للجيل الشبابي الجديد كما خسرت المعركة السياسية وإن لم تفرز حتى الآن سوى حيرة ملكية إزاء الأوضاع غير العادية وغير المستقرة.

تنفيس.. إنفراج .. إصلاح

في شهر أكتوبر الماضي، اجتمع المجلس الأعلى للإعلام برئاسة وزير الداخلية الأمير نايف بن عبد العزيز، وبعضوية وزير الإعلام، وخرج بقرارات غير معلنة تفيد بإفساح المجال للصحافة المحلية بشيء من حرية النقد للأوضاع الداخلية، والى حدّ بنقد الدول الأخرى ولكن بصورة مؤدّبة، إضافة الى نشر الأخبار المحلية نقلاً عن وكالات الأنباء الأجنبية دون الرجوع الى أو انتظار تعليق وكالة الأنباء السعودية. واعتبرت هذه الخطوة محاولة لتنفيس الإحتقان الداخلي، وكبح جماح بعض الصحافيين السعوديين الذين تخطوا الحواجز الحمراء بنظر العائلة المالكة، فتوسيع الهامش محاولة لإظهار الجرأة الصحافية وكأنها جاءت بقرار حكومي.

وفور إنهاء الإجتماع، اجتمع وزير الإعلام برؤساء تحرير الصحف المحلية وأبلغهم بحدود هامش الحرية الجديد، متمنياً عدم تجاوز السقف أو ما اعتبره إسفافاً في النقد.

ويبدو الإعلام السعودي في حالة تململ من أجل المزيد من التحرر من القيد الحكومي. والحكومة من جانبها تريد إبقاء القيد مع إفساح المجال في حدود تنفيس السخط الداخلي الذي ينذر بكوارث عنفية قد تنفجر في أي لحظة، خاصة وأن الأزمة العراقية وتداعياتها ستكون شديدة الأثر داخلياً وهو ما يخيف الحكومة السعودية التي لا تستطيع إلا أن تساهم في الحملة العسكرية الأميركية ضد العراق، فهي في هذا الشأن لا تمتلك قرارها، وإذا ما حاولت امتلاكه فإنها ستعزّز القناعة الأميركية بعدم نفعية العائلة المالكة للاستراتيجية الأميركية الجديدة ويلزم تغييرها أو تغيير الدولة السعودية ككل.

السعودية في مواجهة تحديات القرن الحادي والعشرين:

صراعات داخلية ومشاكل اقتصادية

في تقريرها الصادر هذا العام ٢٠٠٢، كتبت شركة التمويل النفطي في واشنطن عن التحديات التي تواجه السعودية في القرن الحادي والعشرين، مستهدفة رسم صورة الوضع السياسي المستقبلي والمخاطر التي تواجه مشاريع الاستثمار وتحديداً النفطي منها.

يستهل التقرير بتسليط الضوء على صناعة القرار داخل العائلة المالكة، فيرى بأن اللائمة بخصوص التغيرات الحاصلة حديثاً في السياسة الخارجية السعودية تلقى على كاهل ولي العهد السعودي الامير عبد الله شخصياً. فالاخير يمثل حالة مختلفة عن الملوك السعوديين. فهو ليس معروفاً عنه علاقته بالنساء او شرب الخمر، ولكنه يدخن ثلاثة علب سجائر يومياً. وبحسب الانطباع العام فإنه يعيش حياة بسيطة ويتحدث بصورة ودية متواضعة.

وبحسب الوضع الحالي، فإن الامير عبد الله هو الملك الفعلي باستثناء الصفة والتي تؤثر في عدد قليل من الوثائق الرئيسية. فمعظم السلطات عهدت اليه من اخيه الملك الحالي الذي يعاني من آثار الجلطة.

وعلى أية حال، فان عبدالله يلخص بعض التحولات الجديدة في السياسة السعودية ولكن ليس وحده المسؤول عنها. ففي حالة السعودية فإن الملك يملك الكلمة الاخيرة بين كافة الاصوات، بينما تتقاسم العائلة المالكة عبء الحكومة، وينسق الامير عبد الله مع اخوانه في صناعة القرارات، ولدى اخوانه مجالات خاصة للتنافس والصلاحيات الشخصية التي تعتبر سيادية ولا سيما في الاجهزة الواقعة تحت ادارتهم.

ويحظى الامير عبد الله بقبول زعماء القبائل الذين ينظرون اليه باعتباره رجلاً مثالياً معضوداً برئاسته للحرس الوطني المؤلف غالباً من رجال القبائل الرئيسية، وبما يمثل قوة منافسة للجيش. كما ينفرد الامير عبد الله بعلاقاته مع القوميين العرب وهذا ما تعكسه افكاره المتعاطفة مع القضايا القومية، فقد كان يمثل حلقة الوصل الرئيسية بين المملكة ونظام البعث في سوريا.

ومهما يكن، فإن ابناء الملك عبد العزيز المؤسس للدولة السعودية يملكون صوتاً في شؤون الدولة وان كان بعض الاصوات أعلى من غيرها. فالقرارات الرئيسية تختص بالاعضاء الكبار في العائلة المالكة الذين يسيطرون على كل جوانب الحكم وهناك لاعبون آخرون في السياسة السعودية من العائلة ولكن ادوارهم تعد ثانوية.

اما الاجنحة الرئيسية داخل العائلة المالكة والتي تتقاسم حالياً السلطة فهي آل فيصل ممثلين في خالد الفيصل أمير عسير وسعود الفيصل وزير الخارجية وتركي الفيصل (رئيس الاستخبارات العامة سابقاً).

وهناك الجناح السديري، ولاسيما آل فهد والاخوة الاشقاء الستة (ويطلق عليهم احياناً اسم آل فهد) وابنائهم. ويعتبر الملك فهد من أطول الملوك السعوديين عمراً في السلطة كما أن أخوانه من اكثر المحتفظين بمناصبهم من الناحية الزمنية، ويشمل ذلك الامير نايف وزير الداخلية والامير سلطان وزير الدفاع والامير سلمان امير الرياض، ويحتل عبد الرحمن وأحمد مناصب عليا في وزارتي الدفاع والداخلية بينما تحوّل تركي بن عبد العزيز الى رجل اعمال وقد أبعد عن وزارة الدفاع في السبعينيات.

وتبرز دائماً في ظل هذا التشابك في العائلة المالكة والصراع الخفي بين أجنحة الحكم مسألة الخلافة، فبينما يتوقع ان يبقى خطّا آل فيصل وآل فهد في الحكم، سيكون الملك القادم الامير عبد الله مقيداً بهذين الخطين.

وعلى أية حال فإن الامور ليست بهذه السهولة، فنظام قبلي وراثي كالذي في السعودية يحمل في داخله مفاجآت غير متوقعة، فقد حدث في عوائل حكم تقليدية ان قضى ولد على والده وأخ على أخيه من أجل السيطرة على الحكم.

فهناك ثمة عوامل تسهم في تصعيد مشكلة الحكم ما بعد الملك فهد منها: أن الملك مازال محصوراً في أبناء الملك عبد العزيز البالغ عددهم ٤٤ ابناً ومن المقرر زمنياً دخول أحفاد عبد العزيز في لعبة السلطة، فأولاد عبد العزيز يزحفون نحو آجالهم الطبيعية. وهناك عامل السيطرة السديرية وهذا الجناح يكاد يستأثر بالحصة الاكبر من السلطة ومن الصعب على ولي العهد في حال كهذه ان يمارس سلطاته كملك ما لم يجرِ تكسير السلطة الحالية الى أجزاء. وهناك صعود الخطوط الملكية الاخرى فحصر الوراثة في ابناء عبد العزيز لا يعتبر استراتيجية حيوية على المدى الطويل، فابناء الفروع العائلية الاخرى في آل سعود يتطلعون للعب دور في السلطة القادمة وايضاً في الثروة وهذا سيؤثر بلا شك على لعبة التحالفات داخل العائلة المالكة.

ويفرد التقرير قسماً خاصاً لقراءة دور القبيلة والدين والمذهب ضمن قائمة التحديات التي تواجه السعودية في القرن الحادي والعشرين، فقوة آل سعود نابعة، كما يشير التقرير بصورة دقيقة ومحددة، من الانقسام الداخلي الكبير والذي يعني افتقار السكان الى قاعدة مشتركة للتنظيم والاجتماع، ويرى التقرير بأن ليس هناك شيئاً يطلق عليه "المجتمع" السعودي، فهناك مجتمعات متعددة تحت حكم آل

سعود. ويسوق التقرير أمثلة على هذه التعددية من منظور مناطقي: نجد بما تمثل حاضنة للعائلة المالكة، ولأتباع المذهب الوهابي وهكذا بعض القبائل البارزة الحليفة للعائلة المالكة.
وهناك الحجاز بثقله الديني والتاريخي وتراثه الثقافي والاجتماعي غير المتناغم مع نجد. وحسب التقرير فإن الحجازيين ينظرون الى النجديين باعتبارهم متوحشين فمازالوا يتذكرون ما جرى عليهم في العشرينات إبان الغزو السعودي - الوهابي. فقبل الغزو كانت للحجازيين دولتهم الخاصة والتي كانت تتمتع بمدارس أفضل وثراء أقوى وبيروقراطية أمهر مما قام به النجديون، وهذا ما ألهب نزعة الانفصال لديهم في الثلاثينات. يضاف الى ذلك عسير وما عانته من تهميش اقتصادي وسياسي والحال نفسه بالنسبة للشيعة في المنطقة الشرقية.
فهذا التباين يبقى دائماً محكوماً الى نفس المنطق: فرق تسد. فالانقسامات بين الوهابيين وغير الوهابيين، والسنة والشيعة، والنجديين والحجازيين، والبدو والحضر تعني بأن العائلة الحاكمة لن تقلق بشأن ثورة وطنية، فأسوأ ما سيقع هو تحديات جزئية وفي الغالب محلية أي مناطقية.
وتحت عنوان (سياسة الدين) يؤكد التقرير على دور الدين كفاعل رئيسي في السياسة السعودية. فالتوسل بالدين كان دائماً سلاحاً ذا حدين بالنسبة لآل سعود، فهو يدعم سلطتهم ويهددها في نفس الوقت. وهذا ما يجري بالنسبة لحليفهم التاريخي الوهابيين الذين يوفرون مصدر المشروعية للحكومة السعودية، وفي ذات الوقت يمثلون تهديداً خطيراً لسلطانها حالياً. وهناك ثمة تهديد جديد يفرضه عدد من القوى الدينية ممثلة في:
١ - العلماء الشباب وهذا ظهر منذ عام ١٩٩٣ في منطقة القصيم التي تعتبر مصدراً لظهور العلماء الموالين للسلطة.
٢ - الافغان العرب من السعوديين الذي حاربوا في افغانستان ابان الغزو السوفيتي. فكثير من العائدين الى السعودية من هؤلاء قد شكلوا قوة تهديد كامنة شأن مناطق عربية عديدة مثل الجزائر ومصر ومناطق اسلامية مثل البوسنة والشيشان. وليس بن لادن ومجموعته سوى المثال الأبرز للدور المتوقع للافغان العرب السعوديين.
٣ - السلفيون: فقد كان الاعتقاد لدى آل سعود بأنه الى ما قبل الحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١ بأنهم قد سحبوا الرصاصة الاسلامية وأبطلوا مفعولها.. الا أن الهجوم على مركزي التجارة العالمي والبنتاغون قد أفزع العائلة المالكة في مستويات عديدة منها: تآكل العلاقات مع واشنطن.
فاكتشاف اتجاه سلفي راديكالي بنزعته العنفية داخل المملكة قد اثار رعب آل سعود، ومنذ الحادي عشر من سبتمبر تتواصل عمليات اعتقال المقربين من الخاطفين للطائرات الانتحارية والتحقيق مع العلماء المحليين ومحاولة احكام السيطرة على الاتجاهات الدينية المحلية والمؤسسات الدينية. ورغم أن الاتجاه السلفي الراديكالي لا يمثل كامل الطيف السلفي في السعودية الا أن ثمة خشية من أن يخفي المستقبل بذور انشقاق تيارات عنفية من داخل المؤسسة الدينية الوهابية.
وينتهي التقرير للحديث عن الدولة الريعية في السعودية، فقد ساد فهم لدى آل سعود بأن البترودولار سيصنع منهم حكاماً شعبيين اذا ما استطاعوا توفير مستوى معيشي عال لرعاياهم. ولكنهم ايضاً كانوا على قناعة بأن التحول الاجتماعي الكبير بما في ذلك التحول المفيد لهم يتطلب مخاطرة بسلطتهم. فالعائلة المالكة استعملت المساعدات المالية كجزء من خطة شاملة وسياسة دخل مصممة لاستقرار المجتمع. ولكن كان ثمة خطر دائم بأن التحديث والنفط (او أي عملية تغيير) قد تقلب السلم. فالحجازيون الاكثر تأهيلاً من الناحية التعليمية في المملكة قد يدفعون النجديين جانباً من المناصب العليا. ومن اجل ذلك سعى آل سعود لمواجهة هذا الخطر من اجل ابقاء تفوقهم بخلق هيكل وظيفي جديد، كان الغرض منه توظيف النجديين في المناصب العليا داخل الجهاز البيروقراطي. كما تطلب ذلك ايضاً امساك آل سعود بالمصادر الرئيسية للرعاية داخل تركيبة الدولة الحديثة، متمثلة تحديداً في وزارات الداخلية والدفاع والزراعة والمياه والمالية والبترول والتجارة والتي كان المسعى دائماً فيها لابقاء التنافس داخل حدود نجد وبشكل محدد داخل العائلة المالكة.
ويسجل التقرير الاستخلاصات الرئيسية والتي يمكن ايجازها على النحو التالي:
- ليس هناك ثورة اسلامية وشيكة في السعودية: فرغم تنامي الاتجاه الاسلامي المحافظ الا أن هذا النمو كان داعماً للعائلة الحاكمة اكثر من كونه مقوّضاً لها، مع الفات الانتباه الى الخطورة الكامنة التي يمثلها هذا التيار.
- لن تصبح السياسة الخارجية السعودية أقل ودية تجاه الولايات المتحدة، بالرغم من محاولات السعودية لاستقلالها عن المصالح الاميركية.
- خطوط الغاز الضخمة لن تتم بالشكل الذي عليه الآن. فالاتفاقات الرئيسية الاولية قد توقفت وهذا سيضطر السعودية لاعادة التفكير في خطط تطوير استثمار ضروري أكبر في مجال توليد الطاقة والتحلية.
- هناك أمل قليل بأن الانفتاح الغازي السعودي سيؤدي الى مشاركة أجنبية في خط صناعة النفط الصاعد (ويشمل الاستكشاف والتكرير والانتاج) فالعائلة المالكة منقسمة بصورة حادة بشأن موضوع تحرير القطاع النفطي.
- احتمال انفتاح الاقتصاد السعودي على الاستثمار الاجنبي المباشر، وذلك كنتيجة لدخول السعودية في منظمة التجارة العالمية (الجات).
- النشاطات التجارية الاميركية ستحصل بصورة مستمرة على فرص في الخليج: فالعائلة المالكة ستكافأ تلك الشركات الاميركية التي ساندتها في الماضي، اضافة الى نظرة العائلة المالكة الى هذه الشركات بوصفها حلفاء في توفير مظلة أمنية تحتاجها من واشنطن، وهذا يتناقض مع الشعور العدائي المتزايد في الشارع السعودي.
- لن تتمكن السعودية من الحفاظ على استراتيجية التحكم بأسعار النفط: فعودة العراق الوشيكة (والمتوقعة عام ٢٠٠٣) الى السوق النفطية وبكميات كبيرة سيضطر السعوديين لاستنباط نظام سعري من اجل تخفيض الانتاج في مناطق انتاج عالية التكلفة.

إصلاح مناهج التربية الوطنية والدينية

نحو "تنجيد" الوطنية و"توهيب" الدين

بعد أزمة احتلال الكويت، شعرت العائلة المالكة بضغط المنافسة من التيار العقائدي الوهابي الذي حاول استثمار الأزمة الداخلية، وحالة الضعف التي ألمّت بالأمراء السعوديين، من أجل زيادة حصّته في الحكم، وفي خضم الصراع بدا أن العائلة المالكة بصدد استدعاء سلاح (الوطنية) لأول مرّة في تاريخها.

هدف (الوطنية) المستدعاة لم يكن هدفاً جامعاً، بل هدفه إقصائي، أي تقليم أظافر حلفاء الأمس ومنعهم من طرق المنافسة السياسية للعائلة المالكة. والوطنية المستدعاة سعودياً، لم تأتِ كطفرة وعي بأهميتها في تدعيم اللحمة الداخلية، وإنما من أجل ديمومة تحصيص السلطة بين الأطراف المحتكرة دونما تعديل رغم تغير الظرف الذي حدث بعد أزمة احتلال الكويت.

أما كنه الوطنية التي أظهرها الأمراء، فهي ليست الوطنية الجامعة للسكان، وإنّما الوطنيّة النجدية. هذا هو محتواها وجوهرها الداخلي.. فالأمراء حديثو عهد بالموضوع الوطني، ولا يعرفون أو يدركون حتى اليوم كيف يؤسسون ثقافة وطنيّة جامعة، هذا إذا كانوا جادّين في ذلك. ظهرت تجليّات الوطنية النجدية في موضوعين، أحدهما إدخال مادّة التربية الوطنية كمنهج في التعليم، والثانية إعادة إنتاج تاريخ العائلة المالكة، وتلميع دورها في توحيد البلاد، فظهرت المئوية، مئوية التوحيد، رغم أن احتفالهم يحمل مغالطة تاريخية وهي أن توحيد المملكة لم يمض عليه مائة عام، ولا تسعين عاماً ولا حتى ثمانين عاماً. المملكة توحدت عام ١٩٣٢، الموافق ١٣٥٤هـ، فما الذي جعلهم يستعجلون مئوية التوحيد؟!

في عام ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م قررت وزارة المعارف استحداث مادة دراسية جديدة باسم: التربية الوطنية. توقيتها أنها جاءت بعد أزمة احتلال الكويت كما قلنا، وأنها كانت ردّ فعل على انتفاض السلفيين من أجل زيادة حصّتهم في الحكم.

كان المعتقد أن التربية الدينية المكثّفة للنشء ستعزز الإنتماء والولاء للعائلة المالكة، وتمنح شرعية الخضوع لها.

ما حدث كان عكس ذلك، فالوهابية العقائدية المتطرفة ومناهجها الدينية لا يمكن إلا أن تكرّس مشاعر العداء والتنافر بين المواطنين، لطبيعة تلك المناهج الحادّة في عدائها لعقائد المواطنين أنفسهم، وهي مناهج تحمل في طياتها بصورة صريحة لا لبس فيها تكفيراً لأكثرية سكان المملكة.. الأمر الذي انعكس على ولاء هؤلاء للنظام السياسي القائم الذي يدعم تلك المناهج، ويعتقد بأنها غطاءٌ شرعي جيّد.

وكان الإعتقاد فيما مضى أن مادة التربية الوطنية تتوفّر في المواد الدينية الكثيرة إضافة الى مادة التاريخ، وهاتان المادتان تؤكدان شرعية النظام الدينية والتاريخية، على الأقل بين نجد وأهلها.

لكن النظام التعليمي المؤسس طائفياً أظهر ناتجاً مذهبياً متطرّفاً، في كلا الإتجاهين.. أنتج التطرّف الوهابي الشديد ليس ضد أكثرية المواطنين ممن يخالفونهم المذهب، بل ارتدّ ذلك على النظام، بغية دفعه في الإتجاه الذي يرغبون، وزيادة حصتهم في أجهزة الدولة الى حد أن هناك من كان يعتقد بأن العقائديّة الوهابية، كانت تعدّ نفسها لتكون البديل السياسي للعائلة المالكة. وأنتج أيضاً تطرفاً مقابلاً بين أتباع المذاهب الأخرى الذين قابلوا التطرّف الوهابي العقائدي والسياسي بتطرّف من جنسه، وإن كان أقلّ في حجمه.

ناتج المناهج العقائدية الوهابية المتطرفة ارتدّ عكس المطلوب، وإن لم يقنع العائلة المالكة بعمل شيء تجاه ذلك، فلازال للوهابيين ثلاث جامعات من سبع، إضافة الى سيطرتهم والى ما قبل بضعة أشهر على كامل جهاز تعليم الإناث، وهو شرط لقبولهم بتعليم البنات في الستينات الميلادية!. وبدا أن مادّة التاريخ وفق ذلك لا تفي بالغرض. ربما أدّت المراجعة أو الملاحظة الأوليّة، الى الإعتقاد بأن جميع مناطق وسكان المملكة يجب أن يكونوا هدفاً للتربية الوطنية.. ولكن هذا لم يعتمد لأسباب عديدة، أهمها أن ذلك لا ينجح مادام التعليم محكوماً بالوهابية، أي أن تغييراً جذرياً في الأيديولوجيا يجب أن يحدث قبل أن يصبح مفعول التربية الوطنية ناجحاً، وهذا التغيير مكلف للعائلة المالكة، لا تقبل به لجذريته.

من وجهة نظر العائلة المالكة، كانت هناك حاجة الى منهج وطني في التعليم مفصّل في الأساس لدفع غائلة الوهابية المتطرّفة، ووجد الأمراء انهم لا يجب أن يكونوا رهيني شرعية رجال المذهب فحسب، وإنما اعتماد البديل الوطني ضمن محيط نجد في الأقل.

لكن مناهج "التربية الوطنية" جاءت متأخرة، وكأنها علاجٍ السرطان بكبسولات ألم الرأس.

ترى من يعلم الناس الوطنية، ويربي النشء عليها؟.

من يكتب المناهج؟

ووفق أي أسس؟

إنهم هم.. أعداء الوحدة، وفي نفس الوقت المستفيدون الأكبر منها.

إنهم هم الغارقون في التمزيق والتفتيت، دعاة الوهابية السياسية.

هم من يريد أن يعلّم بقية الشعب المبتلى بضيق أفقهم كيف تكون الوطنية، أو كيف هي قائمة.

هم من يجلس اليوم ويدبج المناهج ليعلّم الضحايا فضائل السكوت والصمت.

ماذا يقول دعاة المناطقية والطائفية والإحتكار السياسي عن الوحدة، وسائلها، غاياتها؟.

إنها نفس أفكارهم القديمة، التي مزّقوا بها الوطن يعيدون انتاجها من جديد.

يقولون: إن "العقيدة الصحيحة" هي أساس الوحدة. أي هي الوهابية التي لازالوا يحلمون

بفرضها على كل الشعب ولو بالعنف.
ويقولون أن إحدى غايات الوحدة: محاربة البدع والخرافات! ومعلوم أية (بدع) يحاربون، وأية (خرافات) يعنون. ونعلم ما يستتبع تحقيق غاياتهم تلك من استمرار للحرب الطائفية وسياسة الفرض والإكراه.
وهم يقولون كثير كلام عن المساواة والإنجازات وحب الوطن ومحاربة الحاسدين.. وهو كلام يغطي من وجهة نظرهم ويكشف من وجهة نظرنا جوهر مشكلة البلاد المبتلاة بهم.
أعداء الوطنية، أنصار التسلّط والتطرّف والإستبداد، الأنانيون الذين تقوم سيادتهم وعزّتهم وكرامتهم على حساب المواطنين الاخرين، تاريخاً وهوية ومصالح وثقافة..
أعداء الوطن والوطنية، يريدون وطنية على مقاسهم.. تخدم مصالحهم، وتضلل الباقين من أبناء الشعب.
يريدون الريادة في مجال (الوطنية) مع أنهم أعداؤها.
ويريدون السيادة بمذهب تجاوزه الزمن، لا يستطيع أن يتكيّف مع الحياة وتطوراتها.
يريدون وطنيّة مؤسسة على (تاريخهم).. تتناغم مع (مشاعرهم) وحدهم، وتراعي (مصالحهم) وتحفظ تفوّقهم.
المواطنون يدعون الى الوطنية بغية المساواة في الحقوق والواجبات.
وهم يريدونها أداة لتعزيز استئثارهم وفئويتهم.
المواطنون العاديون بالكاد يتقبّلون (وطنيّة سعودية) وهم يريدونها (وطنيّة نجديّة).
في أول كتاب عن التربية الوطنية في سلسلة مدعومة من وزارة التعليم: (في آفاق التربية الوطنية في السعودية) تأليف أحد الشخصيات من عمق نخب الوهابية السياسية (د. سليمان الحقيل) استاذ التربية في جامعة محمد بن سعود، لا تبدأ الوطنية إلا بتحالف محمد بن سعود وابن عبد الوهاب لتقوم دولة (نجد).
إنها الوطنية النجدية التي لا تفرق بين حدود نجد والأحساء، وحدود نجد ونجران.. صارت الأحساء والقطيف ليس (ملحقاً) من الملحقات النجدية كما اعتدنا أن نقرأ ذلك، بل هي (نجد) كإمارة آل خالد وإمارة آل هذال في نجران (ص ١٧)!
حتى الجغرافيا صارت ملعباً للإستهتار. أما التاريخ فليس لأحد تاريخ قبل ذلك التحالف النجدي، وليس هناك إسلام صحيح أو غير صحيح قبل تلك (الدعوة الصحيحة.. الدعوة النجدية).

تاريخ الوطن هو تاريخ احتلال نجد وسيطرتها. فوصولها الى مناطق بعيدة لتحتلها على أنهار من الدم، كما هو معروف بالضرورة من تاريخ الوهابية (مثل العراق وعمان واليمن والبحرين..) وصولها الى هذه البقاع دلالة عظمة.. أما الضحايا الذين يكتبون تاريخهم كما في عمان فلا يرون في الإحتلال الوهابي إلا كلّ أمر سيء من قتل ونهب واستخفاف بالحرمات، وتعصّب في الدين بدون وجه حق.
وحينما يغزى النجديون أو تحرّر المناطق التي احتلوها (الحجاز في القرن التاسع عشر مثلاً) فإن القوات التي تحاربهم تعتبر من كتاب المناطقية والطائفية (قوى شر زاحفة - ص١٩). ولأن التاريخ لا يعني غير أنفسهم فهم يكتبونه على هذا النحو في مادة التربية الوطنية ومن منظور إسلامي أيضاً: (لكن النجديين، لم يقنطوا من رحمة الله، ولم ييأس آل سعود.. واستطاع تركي بن عبد الله أن يكسر شوكة الطغاة وينازل أعداء الوطن، ويطهّر الأرض من دنس الإحتلال، وأن يعيد لنجد وحدتها وكرامتها بعد الفوضى والتفرق والإنحلال).. هل هذا تاريخ المملكة أم تاريخ نجد؟
كيف يمكن للشعب أن ينتمي الى تاريخ غيره، تاريخ احتلاله هو، تاريخ سيطرة الآخرين عليه، تاريخ جعله مواطناً من الدرجة الثالثة والرابعة، تاريخ حوّله من سيّد نفسه الى مسود من غيره، تاريخ حمل معه هدر الكرامة، ولا يخاطبه بل يخاطب خصومه؟!
والعائلة المالكة وفق هذا التاريخ ليست سيدة وطن، بل سيدة نجد فحسب. يكتب الحقيل مادة التربية الوطنية على هذا النحو: لقد نجح تركي بن عبد الله وذلك دلّ على (حبّ أهل نجد للبيت السعودي وتقديرهم له، ولولا هذا الحب والتقدير لما نجح - ص٢٠). هل هذا تاريخ بلد أم فئة. هل هذا ما يجب أن يكتب في أول كتاب عن التربية الوطنية؟
واقرأ هذه الفقرة: (لقد جرّب أهل نجد أنواعاً منوعة من نظم الحكم قبل العهد السعودي.. لذا لم يتردّدوا في نصر الراية السعودية.. ودفعوا ثمنها غالياً، ودماءً زكيّة بذلوها في سبيل نجد، فرفعوا شأنها وعظموا قدرها، فأحبّتهم وناصرتهم - ص٢٠). هذا ما تجود به قريحة الوهابية السياسية إذا ما جلست على كرسي الإفتاء الوطني. يريد المؤلف أن يذكّر آل سعود بفضل نجد عليهم، ويذكّر النجديين بفضل آل سعود عليهم، وباقي الشعب الذي سالت دماؤه هدراً للتوسع النجدي، فهو غير معني بهذا التاريخ.
من الواضح ان هناك مشكلة نجدية، ثقافية واجتماعية وسياسية واقتصادية.. مشكلة من يحكمها ويستخدمها في حروبه. لم تكن هناك مشكلة عامة في باقي الجزيرة العربية.
نجد كانت تبحث عن حل لمشكلها الخاص.

الأمم المسعودة

إبحث كم حجازي يقيم في نجد، إقامة غير اضطرارية، بل حتى ولو كانت إضطرارية.
وكم مواطن شيعي يقيم في نجد.؟
كم هو حجم التداخل الإقتصادي والإجتماعي بين سكان المناطق؟
كم هي نسبة الزواج المختلط بين الجماعات والفئات؟
كيف ينظر السكان الى بعضهم البعض؟.
كيف كان حالهم قبل عقد أو عقدين مثلاً، وكيف تطورت العلاقة الى ما هي عليه اليوم؟
إذا ما أُجيب عن هذه الأسئلة، سنجد أن ليس هناك مصداقية لشيء إسمه (شعب سعودي).
وليس هناك شعبٌ واحدٌ بل شعوب متعددة.
وليس هناك مملكة واحدة، بل ممالك.
وليست هناك مصالح موحّدة، ولا مشاعر واحدة، ولا انتماء واحد، ولا هويّة واحدة. سنجد أن كل الأدلّة تقود الى حيث التمزّق والتفتّت والتقاتل والتناحر.
علمٌ يرفرف ظاهرياً على الجميع، غير قادر على إخفاء المشكلة، فضلاً عن حلّها. وأوضاع بائسة وتزداد بؤساً يوماً بعد آخر، تجعل من موضوع الوحدة غير المستقرة موضوعاً هامشياً لا أولويّة له.
والمسؤولون، مشغولون حتى الأذقان في الرسميات.. إنها تستهلك جلّ وقتهم. لمن الرسميات، ما فائدتها، من تخدم في الإستقبال والتوديع، من هم جموع المواطنين الذين يستقبلهم المسؤولون فتقضى حوائجهم في أعرق ديمقراطية نجدية عرفها التاريخ.. ديمقراطية المجالس المفتوحة كما يقولون؟.
وهل الشعب كلّه خويا، واخوان، وعرائض، ورجال قبائل؟.
وهل بالعرائض تحلّ مشكلة وطن يسير الى حتفه؟.

فإذا كان هناك من يعبد الأشجار وغيرها فهم أهل نجد، وإذا كان هناك من فوضى ففي نجد، وإذا كان من هو بعيد عن روح الإسلام فجاءت الدعوة الوهابية او كما كانت تسمى الدعوة النجدية لتنقذهم فهم أهل نجد، ولا علاقة للسكان الآخرين بذلك. وحينما تُسرد فوائد الحكم المركزي السعودي، فلنجد حاجة خاصة ومصلحة خاصة ونظرة خاصة تجاهه.

إن تاريخ المملكة، حين يُكتب من زاوية التربية الوطنية، وليس الوطنية النجدية، وهو بحاجة فعلاً لإعادة كتابة عليه أن:

ـ لا يستفزّ دول الجوار التي عانت من احتلال الوهابيين، خاصة عُمان واليمن.

ـ لا يستفزّ المواطنين غير النجديين وهم الأكثرية وأن يحترم مشاعرهم وتاريخهم.

ـ وأن يركز على جوامع الفائدة من التاريخ.. ما يعتبر مقبولاً لدى الجميع وما يعتبر فائدة مشتركة.

يمكن أن يُقبل تاريخ العائلة المالكة مع بعض التشذيب، وكذا دورها في توحيد المملكة. وهذا يختلف عن كتابة تاريخ نجد والتأكيد على دورها. في الحالة الأولى تصبح نجد والمناطق الأخرى على قدم المساواة من حيث المعاناة من خلال ما تعرضت له أثناء عملية توحيد البلاد. أما في الحالة الثانية فهناك تغليب لدور نجد ووضع اعتبار لتضحياتها بحيث تكون مبرراً لما هي سادرة فيه اليوم من إخضاع البقية لسلطانها. وفي الحالة الأولى يتم التعاطي مع العائلة المالكة كرمز لبقية الشعب، ولكن في الثانية تكون العائلة المالكة تابعاً خاصاً لمنطقة. وكتب التربية الوطنية السعودية لا تريد أن تعطي العائلة المالكة شخصية مستقلة عن نجد، فليس من مصلحة النخب الطائفية سياسياً ودينياً أن يتمّ ذلك، والعائلة المالكة من جانبها تخشى أن تكون مستقلة، أو لا تعتقد أن بإمكانها التمرّد على الرحم الذي ولدت منه.

كتب التربية الوطنية تظهر فوائد العائلة المالكة لنجد والعكس، أي فضل نجد على العائلة المالكة، وتبرز دور المذهب النجدي وفضله على آل سعود، وفي المقابل تظهر دور آل سعود وفضلهم على المذهب ونشره. حتى الملك عبد العزيز كاد أن يتحوّل الى (شخصية عامة) ولكن النجديين جعلوه شخصية نجدية، أو أسطورة نجدية، يستخدمونها وينفخون فيها ليبرروا سيطرتهم واستفرادهم بمقدرات البلاد.

أيضاً فإن التربية الوطنية النجدية تصرّ على اعتبار مناطق المملكة ملك آباء وأجداد آل سعود! منذ متى كان الحجاز أو كانت عسير أو كانت حائل أو كانت القطيف والأحساء ملكاً لآباء وأجداد آل سعود؟ وهل الأرض تستباح بهذه الصورة، وبهذا المنطق السقيم؟

إن التربية الوطنية لا تتواءم مع مقولة "ملك الآباء والأجداد".. فهذا المنطق يجب أن يمحى من الكتب، لأن بقاءه استفزاز لمشاعر المواطنين، قد يعمّق فيهم الكره والإشمئزاز ويدفعهم للعمل وفق ذات المنطق لاستخلاص "ملك آبائهم وأجدادهم" مما يسمونه احتلالاً نجدياً. يفترض في كتب التربية الوطنية التأكيد، حتى إن لم يكن ذلك صحيحاً، على أن مؤسس البلد كان يقصد الوحدة، وليس المنفعة الشخصية وملك الآباء والأجداد.

ترى لو جاء الخالدي وقال أن ملك آبائه وأجداده سابق على ملك آل سعود. ولو جاء الحجازي والجنوبي والشيعي في الأحساء والقطيف، وفعلوا نفس الشيء، أفليس مصداقيتهم في الحديث بهذه اللغة أقوى من مصداقية آل سعود. إن منطق ملك الآباء والأجداد يضعف آل سعود حتى في نجد نفسها، فما بالك في المناطق الأخرى. لقد ذهب ذلك الزمان الذي يعتبر فيه احتلال بلد تملكاً له. وهذا المنطق المتهافت يجب أن يختفي لأنه لا يقدّم فائدة حاضرة اليوم لا لآل سعود ولا إلى النجديين.

ستبقى نجد موطن آل سعود، وستبقى مناطق المملكة الأخرى مستقلة الشعور والمشاعر والسكان والتاريخ، لا يملكها إلا أصحابها، حتى وإن تعاطى معها أمراء آل سعود بمنطق المالك المحتل.

الوطنية النجدية تدرك مواطن الخلل لديها، تدرك أنها تميّز جماعة على أخرى، ومواطن على آخر، ومنطقة على أخرى.. وتجيء الكتب الوطنية! لتنفي ذلك، وكأن المواطنين يصدقون ما يقال، فهذا الكلام الدعائي يفترض أن يجد له سوقاً خارجية، أما من يعيش التمييز لا يقنع بعكسه إن كان يعاني منه منذ مولده وحتى وفاته.

تقول الوطنية النجدية، ولسان الحال: يكاد المريب أن يقول خذوني: (جميع ـ لاحظ جميع ـ المواطنين في المملكة العربية السعودية أمام شريعة الله سواء.. ولا شك أن تطبيق هذه المساواة يشيع في نفوس المواطنين الرضا والإطمئنان على حقوقهم وحاضرهم ومستقبلهم ويجعل المواطنين يتسابقون للدفاع عن وطنهم الذي يعيشون فيه عيشة كريمة تقوم على المساواة في الحقوق والتلاؤم في الواجبات. إن التلاحم منقطع النظير بين القيادة والشعب في المملكة العربية السعودية نتيجة من نتائج تقرير المساواة في هذا البلد الأمين، وإن تحقيق المساواة للمواطنين عامل من عوامل الإستقرار منقطع النظير الذي يعيشه المواطن السعودي في مدينته وقريته وهجرته ـ ص٩٣)..

أيضاً فقد (امتاز أسلوب القيادة السعودية بالعدل بين المواطنين، فهو لا يؤمن بالحقد ولا بتغليب فئة من المواطنين على فئة أخرى.. ـ ص ١٠٨).

وإن (النعمة الكبرى التي نعيشها ليست لمواطن دون مواطن، وإنما هي نعمة للجميع.. ـ ص١٤٧).

والمؤلف سليمان الحقيل في الكتاب الثاني من سلسلة كتب التربية الوطنية: (الوطنية ومتطلباتها في ضوء تعاليم الإسلام) يقول ص١٣٩: (لا ينحصر العدل في القضاء، بل أنه يشمل جميع أعمال وتصرفات الدولة، فالدولة تعدل في معاملة مناطق المملكة، وفي معاملة الأفراد والجماعات والوزارات والمصالح والمؤسسات، فهي لا تظلم بريئاً لأنه ضعيف، ولا تجود بخيراتها على منطقة خاصة، أو فئة معيّنة، أو تحرم المناطق والفئات الأخرى... الخ).

فهل المصطلين بنار التمييز الطائفي والمناطقي سيصدقون هذا الكلام؟

إن التربية الوطنية قبل أن تصبح درساً للتلاميذ في المدارس، يجب أن تمارس ويكون لها مصداقية على الأرض، وإلا فإن الكلام لا يفيد وحده، بينما الأفعال تخالفه.

الآن ونحن بعد أحداث سبتمبر، يثار موضوع المناهج السعودية من زاوية مختلفة، ليس ضد الآخر الداخلي (أي ضد المواطن غير الوهابي) فهذا صار من الأمور المألوفة منذ قامت الدولة السعودية الحديثة، ولكن ضد الآخر الخارجي (غير المسلم وربما المسلم أيضاً). وها هو الحديث يجري من جديد حول إصلاح المناهج المتطرفة التي هي في واقع الأمر انعكاس لواقع المملكة الثقافي والسياسي والإجتماعي. إنها انعكاس لواقع التطرف الذي اختطف حاضر المملكة وربما بعض مستقبلها.

ما عسى أن يجود علينا دعاة الطائفية السياسية والمناطقية والمذهبية. ترى هل يوكل الأمراء لهم إصلاح المناهج الدينية وبنفس الطريقة التي أصلحوا بها المناج الوطنية؟

وثيقة

بتحريض من الاخوان

إبن سعود يعزل أئمة المساجد في مكة والمدينة ويعيّن نجديين

No.212.

JEDDA,
August 20, 1929.

Sir,

With reference to my despatches Nos. 191 and 205 of July 20th and August 10th regarding dismissals and appointments of Imams in the Mosque at Mecca, I have the honour to report that similar action has been taken in regard to the mosque at Medina, all the regular Imams having been dismissed and replaced by three new Imams, two of whom are Nejdis and one a negro from Timbuctoo.

2. The appointment of this last cannot fail to give offence, particularly as the Imams of Medina have been held in high esteem, some of them claiming direct descent from the Ansar (The Helpers of the Prophet.)

3. These changes are said to have been brought about largely at the instigation of the Akhwan who are alleged to have declared that they would rather follow a Hanbali dog than an Imam of the other sects whom they regard as infidels.

4. I am sending copies of this despatch to H.M.High Commissioners for Egypt, Iraq and Palestine, the Government of India in the Foreign and Political Department, the Political Residents at Bushire and Aden, and the Political Agent at Koweit.

I have the honour to be with the highest respect,

Sir,

Your most obedient,
humble Servant,

L.L.BOND.

His Majesty's Principal Secretary of State

واحدة من الخطوات الاستفزازية التي قام بها الملك عبد العزيز فور احكام قبضته على منطقة الحجاز عام ١٩٢٦ هي تقويض المؤسسة الدينية الحجازية الممثلة في ادارة المساجد وتنظيم الصلاة في الحرمين عن طريق أئمة معروفين بالصلاح والنسب الطاهر، اضافة الى اجراءات اخرى عديدة مثل تبديل نظام القضاء وفرض الاحكام القضائية الحنبلية باعتبارها أساساً للتقاضي في منطقة الحجاز وتهديم الآثار الدينية ومصادرة الاوقاف وازالة المعالم التاريخية في منطقة الحجاز وبخاصة في محيطي الحرمين الشريفين.

ونحن هنا امام وثيقة خطيرة محفوظة ضمن سجلات الوثائق البريطانية، بعث بها احد موظفي وزارة الخارجية البريطانية الكبار لمسؤوليه بهدف ابلاغهم بهذا التطور الخطير والذي كما تشير الى ذلك الوثيقة قد أثار استياءً عاماً بين سكان منطقة الحجاز.

هذه الوثيقة تكشف بوضوح الدور التدميري الذي لعبه الاخوان في منطقة الحجاز والاساس الايديولوجي لخطوة تعسفية كتلك التي دفعت ابن سعود لعزل الائمة المحليين في الحجاز رغم ما يتمتعون به من تقدير واحترام وسط سكان المدينتين الطاهرتين مكة المكرمة والمدينة المنورة.

فالمبرر الديني الذي ساقه الاخوان لابن سعود كان وراء هذا الاجراء ـ العزل على اساس ان الائمة يجب ان ينتموا الى المذهب الحنبلي وان أتباع المذاهب الاخرى كفار لا يجوز الائتمام بهم.

وفيما يلي نص الوثيقة:

جدة

٢٠ اغسطس ١٩٢٩

رقم:٢١٢

بالرجوع الى مراسلاتي المرقمة ١٩١ و ٢٠٥ في العشرين من يوليو والعاشر من اغسطس (١٩٢٩) بشأن عزل وتعيين أئمة المساجد في مكة، لي الشرف في اخباركم عن اجراء مماثل قد أتخذ بالنسبة للمساجد في المدينة، فجميع الائمة العاملون في هذه المساجد قد جرى عزلهم واستبدالهم بثلاثة أئمة جدد، وهم نجديان وزنجي من تمبكتو (مالي).

تعيين هؤلاء الائمة لا يمكن اعتباره سوى اعتداءً سيما وان الائمة في المدينة يتمتعون بتقدير عالٍ وبعضهم يقال بتحدرهم مباشرة من الانصار.

هذه التغييرات قد جرت إثر تحريض متزايد من الاخوان الذين قيل أنهم قد صرحوا بأنهم "يفضلون اتباع كلبٍ حنبلي على أحد ائمة المذاهب الاخرى" الذين يصنفونهم كفاراً.

سأقوم بارسال نسخ من هذه الرسالة الى المفوض السامي في كل من مصر والعراق وفلسطين وحكومة الهند في الدائرة السياسية الخارجية والمقيم السياسي في بوشهر وعدن والمعتمد السياسي في الكويت.

لي الشرف أن أحظى بتقدير معاليكم.

مطيعكم المخلص وخادمكم

ل. بوند

في تواصل مع اعمال الهدم للآثار الاسلامية في الحجاز

متشددون يهدمون قبر ومدرسة

السيد علي العريضي العلوي

جرافات ومعدات هدم عديدة قامت صباح يوم الاثنين الموافق ٢٠٠٢/٨/١٢م بالتجهيز لهدم مسجد السيد علي العريضي (٧٦٦-٨٢٥م). وكانت اتصالات قد جرت بكبار المسئولين في الحكومة السعودية والمؤسسة الدينية لمحاولة إيقاف هدم هذا المعلم الأثري والديني الهام، ولكن بعض المتشددين من رجال الدين قاموا في مساء ذات اليوم بهدم المسجد وتسويته بالأرض. وكان هذا المسجد وملحقاته إلى ما قبل حوالي خمسين سنة مركزا إسلاميا مهما لتدريس الدروس الدينية وكان يحتوي على مكتبة عامة كبيرة تحوي عشرات الآلاف من الكتب والمصادر الرئيسية للدارسين والباحثين في الدراسات الإسلامية.

ويحتج هؤلاء المتشددون من اتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب بأن المسجد أصبح مقصودا من قبل الكثير من المسلمين من أهالي المدينة المنورة وزائريها للصلاة فيه، ويعتقدون أن ذلك تقديس غير شرعي لمثل هذه الأماكن الدينية وذلك على خلاف بقية المذاهب الإسلامية. وعلى الرغم من جهود الحكومة السعودية لتنشيط السياحة الدينية والحفاظ على الآثار الإسلامية واستحداث لجنة عليا لذلك برئاسة الأمير سلطان بن سلمان بن عبد العزيز، إلا أن نشاط الوهابيين المتشددين يحول دون تطوير المعالم الدينية وتنشيط السياحة الدينية في البلاد. وقد سبق لهؤلاء أيضا أن مارسوا ضغوطا شديدة على الحكومة من أجل هدم قلعة "أجياد" في مكة المكرمة قبل بضعة أشهر وتحويلها إلى مراكز تجارية وسكنية حديثة بعد أن صودرت من متوليها، كما تم هدم العديد من المواقع الأثرية والدينية في مناطق مختلفة من المملكة للغرض ذاته.

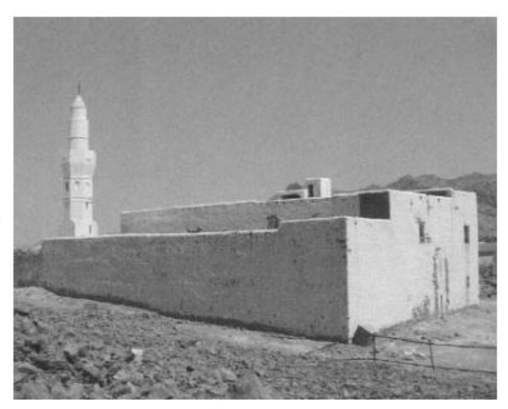
فور بدء اعمال الهدم التي طالت هذا الاثر التاريخي والديني تنادى عدد من شخصيات الحجاز وعلمائه الكبار لاستنكار هذا العمل التخريبي. فقد ناشد السيد واصف بن احمد فاضل كابلي في رسالة لولي العهد السعودي في الرابع من جمادى الثانية لعام ١٤٢٣ الموافق الثالث عشر من اغسطس ٢٠٠٢ بـ "تدارك أعمال الهدم..لأثر من الآثار الاسلامية التاريخية يعود الى خير العصور عام ١٢٥ هـ بالمدينة المنورة". فيما عبر الدكتور محمد انور بن محمد علي البكري من كلية التربية بالمدينة المنورة عن دهشة الاهالي لهدم وازالة مسجد ومدرسة ومقبرة الامام ابو الحسن علي العريضي، فيما "كان الأولى..بالجهات المسؤولة عن المساجد والاوقاف المحافظة عليه وصيانته، وتعيين إمام ومؤذن، وحراسة لاقامة الصوات فيه بدلاً من هدمه وازالته، وتحمل إثم ووزر هدم بيوت الله تعالى". وقال في رسالته الى الامير عبد الله بن عبد العزيز، ولي العهد "ان هدم ونبش قبور المسلمين بصفة عامة محرم في الاسلام فكيف يُنبش قبر حفيد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الامام الورع الزاهد، التقي، الجواد، السخي، قمر عترة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن معه أبنائه من أهل العلم والفضل والحسب والنسب المتصل بسيد الخلق صلى الله عليه وسلم". وشدد الدكتور البكري على أن "مثل هذه الاعمال لا تخدم الصالح العام".

من جهة أخرى رفع عدد من السادة العلويين الحسينيين شكوى الى ولي العهد الامير عبد الله عبّروا فيها عن استيائهم واستنكارهم "لما حل بمسجد ومنزل وقبر خامس حفيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم". وجاء في شكوى السادة العلويين الحسينيين "لقد فوجئنا بأدوات الهدم والتخريب تتحرك في المدينة المنورة تهدم مسجد هذا الامام وبيته الذي دفن داخله عام ٢١٠هـ وتطأ قبره الشريف وقبور أبنائه بل وتنبش هذه القبور منتهكة حرمات أصحابها غير مبالية لقرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم".

وقارن الموقعون بين هدم مسجد في الهند على أيدي الهندوس كما حصل لمسجد البابري أو في فلسطين على أيدي اليهود وبين مسجد يهدم في بلاد الحرمين حيث "لا يمكن ان يتصور ما حدث هذا في المملكة العربية السعودية حاملة لواء الدعوة الى الدين ويتعاظم استنكار هذا الحدث ان يكون في مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي حذر من انتهاك حرماتها فقال (المدينة حرم من أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة عدلاً ولا صرفاً)....

وقد وصف الموقعون الحادث بأنه "جريمة ارتكبها من يرون أنفسهم منفردين بفهم نصوص الدين وحدهم وليس لهم ذلك قطعاً". واضافوا "فإن هذا الاعتداء على حرمة مسجد بيت وقبر الامام علي العريضي وقبور أبنائه لمما يؤجج المشاعر ويجرح العواطف عند المسلمين عامة وعند آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم". وطالب السادة الموقعون على البيان ولي العهد "بتأديب هؤلاء المتطرفين الذين شوهوا الحقائق وانتهكوا المحرمات وآذوا الاحياء والأموات" كما طالبوا باعادة بناء المسجد والبيت الاثري واصلاح ما أُفسد في مقبرة الامام السيد علي العريضي. وقد اعتبر السيد عامر عادل عزام في رسالته الى الامير عبد الله "ان هذا الهدم هو اعتداء على حرمة الاموات واعتداء على الآثار التاريخية".

كما بعث السيد عبد الله بن محمد بن حسن فدعق احد العلماء الكبار في مكة المكرمة برقية هاتفية الى الملك فهد في الرابع من



صورة القبر والمدرسة قبل الهدم

جمادى الآخرة عام ١٤٢٣هـ جاء فيها: "إنه لأمر محزن ان يتم هذا الامر في بلادنا التي تحمي الشريعة وأهلها احياء واموتاً فضلاً عن الآثار" وطالب السيد فدعق الملك فهد بالتدخل لـ "ايقاف ازالة ما تبقى من هذا الاثر ومنع المساس بالآثار الاخرى لا سيما الدينية منها والتي يتذرع بعض جهلة طلاب العلم والمتشددين بأسباب لا يوجد عليها اجماع من علماء الامة وعلماء هذه البلاد بالخصوص".

وفي الحادي عشر من جمادى الثانية عام ١٤٢٣ هـ بعث السيد عبد الله فدعق ببرقية اخرى للملك فهد طالب فيها بوقفة قوية ازاء نبش القبور وهدمها في ضوء اعمال الهدم التي طالت قبر السيد علي العريضي، هذه الوقفة تستهدف اعادة الامور الى نصابها واصلاح ما أفسده المتشددون من هدم للآثار التاريخية الاسلامية في منطقة الحجاز. وكشف السيد فدعق عن نوايا هؤلاء بالتخطيط لـ "ازالة العشرت منها - أي الآثار- ويخططون وبكل جرأة لغير ذلك".

وفي رسالة معبّرة، شكى السيد علي الخليفة لولي العهد الامير عبد الله بن عبد العزيز التعديات المتصلة التي طالت الآثار الاسلامية في الحجاز ووصف الوضع الحالي في المدينة المنورة وفيما يتعلق بآثارها ومعالمها بالخطير "حيث سبق هدم مسجد ابي بكر الصديق، ومسجد غزوة بني قريظة الثابتة اخبارها في كتب التاريخ المعتمدة عن المدينة المنورة".

وعلق السيد علي الخليفة على اعمال الهدم بالقول:"كان الاولى صيانة ومنع العابثين، وأهل الجهل والبدع من الوصول اليه والتذرع بهدمه، خاصة وان الى جواره مسجداً أقيمت الصلوات فيه لعدة قرون مضت وقدّم المبنى الملحق خدمات جليلة لطلاب العلم طيلة سنوات عدة في الماضي".

وكان عدد من علماء وشخصيات حجازية معروفة قدّموا رسالة توضيح الى وزير الداخلية الامير نايف بن عبد العزيز بعد أن بدأت الخطوات التمهيدية للنيل من الاثر الديني المطلوب، وهذه الخطوات غالباً ما تبدأ باثارة في احدى الصحف من قبل كاتب مأجور او جاهل يطلق زوبعة صحافية تصنع سحابة من الشكوك لتبدأ على اثرها اجراءات تقديم معاملة لوزارة الاوقاف لتنتهي الى ازالة الاثر الديني التاريخي بحجة مخالفة احكام الشريعة وهو ما جرى بالفعل مع قبر السيد علي العريضي حيث تقدم البعض لدى وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية لاستصدار امر الهدم لهذا الاثر الاسلامي مما تطلب تحركاً عاجلاً من قبل عدد من المخلصين من علماء وشخصيات بهدف "ايقاف هذه المعاملة وعدم تمكين الحاسدين والمبغضين لهذا البلد وأهله من أي ثغرة يدخلون منها لتحقيق مآربهم السيئة المترتبة على ازالة هذا الأثر".

يذكر بأن الدكتور محمد عبده يماني، وزير الأعلام الأسبق، شكّل وفداً من أهل الحجاز والتقوا بولي العهد احتجوا أثناء اللقاء على تدمير القبر، وأشاروا الى أن مثل هذا الفعل لا مبرر له، خاصة وأنه بقي لعقود طويلة، ولا يخدم التدمير أي هدف وطني في وقت تتعرض له المملكة لتهديدات بتقسيمها. وأشار الوفد الى ان السماح للمتشددين بتدمير الآثار الإسلامية يزيد في انقسام الشارع السعودي، ويعرض العلاقة بين الجمهور والعائلة المالكة الى خطر الإنشقاق.وتقول مصادر من الوفد أن الأمير عبد الله أبلغ الوفد بأنه لا يعلم بما جرى، وأن أحداً لم يستشره، ملمحاً الى أن المسؤولية تقع على الجناح السديري الذي يحاول التودد للسلفية المتطرفة في صراعه مع ولي العهد نفسه.

واجمالاً، لقد أجج الحدث المخاوف من إقدام الوهابيين على تدمير القبة الخضراء على ضريح الرسول صلى الله عليه وسلم، وإخراج قبر الرسول من المسجد، وهو ما أمّله السعوديون منذ استيلائهم على الحجاز ولكنهم ووجهوا بمقاومة من قبل عموم المسلمين.



الجرافات تهدم الأثر الاسلامي أمام مرأى العالم!

نبذة عن حياة
السيد علي العريضي (رض)

هو السيد ابو الحسن علي ابن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنه. ويكنى بأبي الحسن العلوي الهاشمي، ابو الاشراف سليل الزهراء البتول حفيد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

مولده: ولد في آخر حياة أبيه جعفر الصادق (رض) المتوفي سنة ١٤٨ هـ وكانت وفاة ابنه، علي العريضي سنة ٢١٠هـ كما ذكر ذلك ابن حجر والذهبي وابن العماد.

لقبه: لقّب بالعريضي نسبة الى قرية العريض التي كان يسكنها وعرف أولاده بالعريضيين، والعريض قرية كانت تبعد ٤ أميال عن المدينة المنورة، وهي اليوم منطقة عامرة بالسكان داخل الحرم بين الحلقتين على يمين الذاهب الى مطار الملك فهد.

مكانته العلمية: أثنى عليه غير واحد من اهل العلم، ووصفوه بالتقدم والامامة في العلم، والزهد والعبادة، والورع، والسخاء، والجود. وكان سيد قومه بني هاشم حتى لقب بأبي الاشراف شمس اهل البيت وقمر عترة الرسول صلى الله عليه وسلم. قال الذهبي وابن العماد واليافعي كان من جملة السادة الاشراف. وقال عنه النسابة المشهور (ابن عنبه الحسني) كان عالماً كبيراً وذكر ابن حجر في التقريب انه مقبول الحديث وقال الذهبي ايضاً ما رأيت أحداً ليّنه (أي ضعفه).

اما العلامة محمد بن علي بن خرد التريمي، فقال كان واحد عصره وفريد دهره، عابداً وفياً جواداً سخياً ومن عرف الله جاد وساد وحفظ الوفاء، وترك الجفاء وزاد الوداد، أخذ العلم عن جموع من الائمة ومن أجلهم اكبرهم وافضلهم أخيه موسى الكاظم وأخوته ايضاً فقد كان أصغر اولاد ابيه جعفر الصادق سناً واكثرهم علماً واطولهم عمراً.

مشائخه: روى عن موسى الكاظم أخيه وباقي اخوته كما أخذ عن سفيان الثوري وأبي سعيد المكي ومتعب مولى بن هاشم والحسين بن زيد الشهيد بن علي زين العابدين وغيرهم خلق كثير.

تلاميذه: أخذ عنه ابنه أحمد، ومحمد وحفيده عبد الله بن الحسن بن علي العريض، وابن عمه اسماعيل بن محمد ابن اسحاق بن جعفر الصادق، وزيد بن علي بن الحسين بن زيد بن علي زين العابدين وابن الحسين بن زيد وسلمة بن شعيب واحمد البزي الامام صاحب القراءة وعبد العزيز بن عبد الله الاويسي، وعلي بن الحسن بن علي بن عمر بن علي زين العابدين ونصر بن علي الجهضمي.

روى له الترمذي في السنن وذكره الذهبي وابن حجر والمزي وابن العماد والقاضي عياض والسدي السمهودي واليافعي والزبيدي.

سكنه ونزوله في العريض: ذكر النسابة ابو اسماعيل ابن ناصر بن طباطبا من اعلام القرن الخامس ان من ورد العريض من ولد الحسين بن علي هو ابو الحسن علي بن جعفر بن محمد.

قال الامام الفخر الرازي في كتابه (الشجرة المباركة): أن علي ابو الحسن العريضي، وعريض قرية بالمدينة على بعد ٤ اميال منه وكان علي يسكنها وكان طويل العمر.

كما ذكر النسابة بن عنبه الحسني (المتوفي ٨٢٨هـ) في كتابه (عمدة الطالب) ان نسبته الى العريض قرية على بعد ٤ اميال من المدينة المنورة، كان يسكن بها ويقال لولده العريضيون وهم كثير.

وقد أكد هذه النسبة نقيب الاشراف والسادة بالمدينة المنورة السيد علي بن الحسن بن شدقم الحسيني المدني (المتوفي ١٠٣٣ هـ) في كتابه (زهرة المقول في نسب ثاني فرعي الرسول) صلى الله عليه وسلم.

كما ذكر ذلك السيد عبد الرحمن المشهور في كتابه (شمس الظهيرة) ووافقه النسابة السيد محمد ضياء شهاب محقق الكتاب المذكور، كما ذكره محمد بن ابي بكر الشلي في كتابه (المشرع الروى) والسيد يوسف جمل الليل في (الشجرة الزكية).

مكان وفاته: ذكر العلامة عبد الرحمن المشهور في كتابه (شمس الظهيرة) والنسابة السيد محمد ضياء شهاب محقق الكتاب المذكور، والعلامة محمد بن ابي بكر الشلي في كتابه (المشرع الروى) والسيد يوسف جمل الليل في كتابه (الشجرة الزكية) ان وفاته كانت عام ٢١٠ هـ وهو في المدفن المعروف المشهور بالعرض شرقي المسجد النبوي. كما ذكر مؤرخ المدينة علي بن موسى في رسالته المؤرخة في ١٣٠٣هـ في وصف المدينة المنورة وفي الجهة الشرقية قرية العريض. وعلى أعلى الحرة مقابل خشم جبل أحد، مرقد سيدنا علي العريضي ابن سيدنا جعفر الصادق رضي الله عنه. له مسجد مقصود وبجانب القبة منارة، ومن غربي المقام مزارع كثيرة وآبار.

مصادر الترجمة:

١ ـ تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٢/٢٣، ٧/٢٩٣)
٢ ـ لسان الميزان، ابن حجر العسقلاني (٧/٣١٠)
٣ ـ ميزان الاعتدال، شمس الدين الذهبي (٣/١١٧)
٤ ـ العبر، شمس الدين الذهبي (١/٢٨٢)
٥ ـ الكاشف، شمس الدين الذهبي
٦ ـ شذرات الذهب، ابن عماد الحنبلي (٢/٢/٢٤)
٧ ـ مرآة الجنان، اليافعي (٢/٦٨)
٨ ـ متنقلة الطالبية، ابن طباطبا
٩ ـ الشجرة المباركة، الامام الفخر الرازي.
١٠ ـ عمدة الطالب في نسب آل ابي طالب
١١ ـ شمس الظهيرة، السيد عبد الرحمن المشهور
١٢ ـ الغرر، العلامة محمد بن علي التريمي
١٣ ـ الشجرة الزكية في الانساب، السيد اللواء يوسف جمل الليل
١٤ ـ زهرة المقول في نسب آل بيت الرسول.

سياسة أميركا في السعودية

ديمقراطية بدون (سلفيين)

واحدة من مشاكل السياسة الخارجية الأميركية أنها في مسلكها السياسي بعيدة كل البعد عمّا تدّعي حمله من قيم الديمقراطية واحترام حقوق الإنسان. وقد انغمست تلك السياسة ولعقود طويلة ولاتزال في دعم أنظمة العسكر والأنظمة التسلطية المستهترة بحياة شعوبها، وهي بهذا رجّحت مصالحها المادية المنظورة التي كانت تستوفيها من هذه الأنظمة بصورة غير شرعية، وجعلت من الشعوب (الضحيّة) تصل الى قناعة مفادها بأن أميركا عدوّة لتطلعات الشعوب وحرياتها وحقّها في التقدّم الإقتصادي والرفاه الإجتماعي.

بعد سقوط الإتحاد السوفياتي، وانتشار (الموضة) الديمقراطية في كل أنحاء العالم، ظهر وكأن العالم العربي غير معني بما يجري. قيل في تبرير ذلك أن الحركة الشعبية المطالبة باصلاح السياسي كانت جنينية وأن النخب العربية فاشلة وفاسدة. وقيل أن العالم العربي يعيش حالة عبّر عنها الدكتور غسان سلامة بأنها (ديمقراطية بلا ديمقراطيين)، وقيل أن الشروط الموضوعية لنمو الديمقراطية في العالم العربي لم تستوفى بعد، وغير ذلك من التبريرات التي تقترب وتبتعد عن التحليل الواقعي للمشكلة.

من الواضح أن طبيعة الأنظمة السياسية العربية ودعم الغرب لها كان واحداً من الأسباب الرئيسية المعوقة لظهور نظم عربية تقترب من الحس الشعبي وتلبي الحدود الدنيا من مطالبه. وظهر خلال فترة التسعينيات من القرن الماضي أن الغرب بشكل عام، والولايات المتحدة بشكل خاص يمكن أن تدعو الى الديمقراطية في كل الكون إلاّ في العالمين العربي والإسلامي. الفلسفة وراء هذا هو أن الديمقراطية ستأتي بالإسلاميين، وذلك حسب التجارب الأوليّة التي ظهرت وتمّ التنكّر لها أو لبعضها.

ابتدع الأميركيون أمراً آخر. قالوا بأن الإسلاميين سيفشلون إذا ما قامت مؤسسات المجتمع المدني أولاً.. وشجّعوا ذلك بشكل كبير خاصة في المغرب ومصر، ولكن أيّاً من توقعاتهم لم تحدث، بل على العكس. ووقف الأميركيون حائرين الى أن جاءت أحداث سبتمبر ٢٠٠١، فأعادوا النظر من جديد بشأن مشاريعهم في العالم العربي.

فيما يتعلق بالسعودية، فإن الأميركيين - حتى مع عدم وجود حركة سياسية دينية ناشطة - اعتقدوا في بداية التسعينيات أواخر عهد جورج بوش الأب وبداية عهد كلينتون أن المصالح الأميركية في السعودية ستكون في المدى المنظور مضمونة بيد العائلة المالكة، وإن الضغط على الأخيرة لإصلاح الوضع السياسي لم يحن وقته، خاصة وأن الظرف المحلي لم ينضج، وقد يؤدي الضغط الى الإساءة للعلاقة بين الطرفين وقد يحمل معه إن تحقق عناصر غير مرغوب فيها الى دائرة صناعة القرار قد تتنكر وتعمل على الإضرار بالمصالح الأميركية.

إذن.. فليستمر الدعم للعائلة السعودية المالكة. وليتمّ التغاضي عن القمع والفساد الداخليين.

وجاء ابن لادن ليفجّر الوضع. وليفجّر العلاقة بين الطرفين: أميركا وآل سعود. فجأة نسمع من الأميركيين أن آل سعود لم يكونوا ديمقراطيين! وفاسدين! وأن الملك فهد حاكم غير منتخب! فهل كان ذلك اكتشافاً جديداً؟!

نظرت أميركا الى الحادثة كتهديد لمصالحها الآنية والمستقبلية بعيدة المدى. فأخرجت من أكمامها حلاً سحرياً: عصا للتهديد بإسقاط العائلة المالكة وتقسيم المملكة، إن لم تقم بتهذيب نفسها وضرب التيار السلفي - حليفها بانتزاع صلاحياته في التعليم والقضاء والرقابة وغير ذلك.. وأجواء انفتاح سياسي تقضي على شحنات العنف الداخلي أو المعدّ للتصدير الى الخارج.

بكلمة أخرى، تريد الولايات المتحدة من العائلة المالكة بشكل أساسي أن تمعن في استخدام القمع والعنف وسياسات العزل والإقصاء ضد الجهات المعادية لها او المتناقضة مع مصالحها وهي تشمل طيفاً واسعاً من الشرائح الإجتماعية، ويتزامن هذا العمل مع توسيع إطار المشاركة الشعبية وفق المقاييس الأميركية. فالمطلوب ديمقراطية على المقاس الأميركي. ديمقراطية تقصي وحرية يستمتع بها البعض دون الآخر، وكل ذلك يجري في إطار الحفاظ على المصالح الأميركية. إذ من غير المعقول أن تقبل أميركا ديمقراطية تعبّر بصدق عن الشارع العربي أو السعودي، الذي لا يخفي عداءه للسياسات الأميركية الخارجية خاصة فيما يتعلق بالمملكة وفلسطين والعراق وغيرها.

أمران أحلاهما مرّ، ويصعب الجمع بينهما: إمّا الديمقراطية التي تعني استمراراً للمصالح الأميركية - السعودية المشتركة وفق نسق مختلف عمّا فعلته العائلة المالكة، أي وفق المصالح المتوازنة للطرفين، أو استمرار استبداد العائلة المالكة الذي لا يضمن تلك المصالح على المدى البعيد ويفرّخ العنف والتطرّف ضد المصالح الأميركية. أما إبقاء منظومة المصالح والسرقات الأميركية على أسس ديمقراطية مشوّهة وإصلاحات شكلية تستند الى الإقصاء وممتزجة بالقمع للآخر المختلف، فإن ذلك لن يؤدي إلا الى زيادة المرارة في النفوس وتفجرها على أرض المملكة وخارجها.

من شبكة الإنترنت

حلم لازال يراود البعض:

جمهورية الحجاز الديموقراطية

هناك الكثير من الموضوعات الهامّة التي تطرح للنقاش في مواقع سعودية على شبكة الإنترنت، حيث يفصح المتحاورون عن بعض من مكنوناتهم الداخلية وضمن هامش معقول من الحرية، بحيث يمكن رصد هذه الحوارات واعتبارها بشكل عام مؤشراً على اتجاهات الرأي العام السعودي، بأكثر مما تعبر عنه الصحافة والإعلام المحليين.هناك على شبكة الإنترنت، يقوم أفراد ممن يمكن اعتبارهم منتمين الى الطبقة الوسطى العريضة في المملكة بالتعبير عن اتجاهاتهم وميولهم وآرائهم. هؤلاء في مجملهم وكما يبدو من الحوارات العديدة مسكونين بأنواع مختلفة من الهموم الجمعية، لم تجد لها متنفساً في الإعلام المحلي، ولا يمكن طرحها إلا بكثير من الحذر حتى لا يحظر الموقع محلياً، مع أن أكثر المواقع الحوارية السعودية أصبحت محظورة.

ما يهمنا هنا، هو استجلاء للآراء المختلفة بين السعوديين في قضايا وطنية مصيرية بالغة الحساسية. وسنقوم في كل عدد بعرض قضية من القضايا، وآراء المختلفين، الذين لم يجدوا إلاّ مواقع الإنترنت لطرحها على بساط النقاش. الموضوع التالي منقول عن www.tuwaa.com

بعد فترة قصيرة من توحيد المملكة، وأثناء حكم الملك الموحد الراحل عبد العزيز، اتفق مجموعة من تجار الحجاز الكبار على القيام بمحاولة انفصالية، وإعلان ما يسمى بجمهورية الحجاز الديموقراطية. وشاءت العناية الإلهية أن يتم فضح هذه المحاولة، فتمّ القبض على مجموعة منهم، وعفا الملك الكريم عن البعض الآخر.

واليوم ما زال هذا الحلم يداعب البعض، فنراه يحاول استغلال مسمّى الليبرالية والديمقراطية لتمرير مشروعهم الإنفصالي، مستغلين بذلك جهل البعض وحقد بعض الطوائف على النظام الحاكم، فيثيرون النعرات الطائفية، ويطالبون بالعدالة والمساواة كوسيلة يظنونها بزعمهم الطريق الموصل لدولتهم الحلم. وللأسف فإن أكثر أو غالبية هؤلاء من (الشعوبيين) ذوي الأصول غير العربية، أي أنهم لا ينتمون لهذه الأرض، ولا ولاء لهم تجاهها، فمشروعهم هذا لتحقيق أغراض دنيئة شعوبية أولاً، ومادية ثانياً. فالحذر الحذر من هؤلاء الإنفصاليين مشعلي الفتن .

★ ★ ★

أولاً، لا يوجد شئ في التاريخ كلّه اسمه "جمهورية الحجاز". الحجاز كان إقليماً تابعاً للامبراطورية العثمانية من عام ١٥١٧ إلى عام ١٩١٦م، ثم أصبح الإقليم مملكة مستقلة في العهد الهاشمي من عامي ١٩١٦م - ١٩٢٤م وتحت اسم "مملكة الحجاز".

ثم اتحد الحجاز مع (ولم تنضم الى أو تحت لواء) سلطنة نجد بين عامي ١٩٢٦م - ١٩٣٢م تحت اسم "مملكة الحجاز ونجد وملحقاتها". ثم أخيرا توحدت المملكة بالشكل الحالي ابتداءً من سبتمبر ١٩٣٢م. والحجاز يا عزيزي جزء لا يتجزأ من تاريخ وجغرافيا هذه البلد. وأهل ورجال الحجاز ساهموا في بناء وتطور هذا البلد مناصفة، بل هم كانوا النواة ولا يزالون أعضاء في الجسد سبعيني العمر. ثم إنني أعتقد بأنه من السخافة والمغالطة أن نقول أن هناك حجازيين يطالبون بالانفصال أو أن "جمهورية الحجاز الديموقراطية حلم لازال يراود البعض"، لأنني حجازي، ولم أقابل حجازياً واحداً يفكر بمثل فكرتك الوهمية حالياً. بل هناك ولاء للوطن وولاء للإقليم الذي هو جزء من الولاء للوطن، والهوية سعودية وبكل فخر، فضلا عن أن الانفصال لا يخدم أي طرف بقدر ما يخدم العدو.

بعد هذا أقول أنه من السخافة أن نجيّر كل ما يقوله الحجازي من نقد أو اعتراض، إلى "الفكر الحجازي الانفصالي"! ومن السخافة أن نعتبر كل حجازي يطالب بالليبرالية وبتقليم أظافر (السلفية) على أنه يفكر "بالتفكير الحجازي الانفصالي"! فمن يعترض على السلفية وينتصر للأقليات، ويطالب ببرامج سياسية ليبرالية وديموقراطية، هم حجازيون ونجديون وقطيفيون وجنوبيون وشماليون، على أن الدافع وراء كل ذلك وقبل أي شئ: وطني لا انفصالي. ثم لماذا مثلا لم نسمع أن حركة جهيمان كانت "ذات فكر نجدي انفصالي"؟! أو لماذا لا نسمع بأن المعارضين النجديين في الداخل والخارج (.....) "ذوو فكر نجدي انفصالي"؟! ولِمَ لم نسمع بأن الأربعة النجديين مفجري انفجار العليا يحملون أيضا "فكراً نجدياً انفصالياً"؟!

أما من تسخر منهم على أنهم (شعوبيين) وتعتبر أصولهم عيباً، في جهل منك وعنصرية واضحة.. فأود أن أذكرك بأنهم أكثر من ساهم في تطور هذه البلاد، سواء في الوزارات أو في الجيش أو في النهضة العلمية والنقلة الحضارية.

أنا شخصياً، وإن لم أكن أحب أبداً أن أذكر ذلك - أنتمي لأشهر وأعرق قبائل الحجاز العربية، لكن من الغباء أن نعيّر السعودي الحجازي الذي سكن أجداده الحجاز من ٣٠٠ أو ٤٠٠ سنة أو حتى ١٠٠ سنة بأصله غير العربي، ونقلل من مواطنته في

عنصرية بغيضة. قاتل الله التعصب الذي جعلني أدافع عن وطنيتي أمام مواطن مثلي لا فرق بيني وبينه في أي مزايا مواطنة.

★ ★ ★

أجزم أنك لا تعني ما كتبت فالحجاز وشرورة وطريف كلها أجزاء غالية من مملكتنا، البلد الذي يجمعنا تحت كلمة التوحيد، وكل عاقل يدرك أن هناك من يتربص بنا، ويرغب أن يرانا ننادي بنداء الجاهلية ولكن هيهات.

★ ★ ★

من السهولة الاستفزاز، ولكن من الذكاء أن نتجنبه (وديها طناش).

ومن السهولة الانتقاد، ولكن (نديها طناش).

سأكتب عن العنصرية النجدية، وسأكتب عن أسباب تميّز النجادة عن غيرهم، وسأكتب عن أسباب وجود جامعتين في الرياض، وسأكتب وسأ كتب. ولكن سأجد الكثيرين يردون عليّ ويفندون أقوالي.

لا يستفزنكم أحد. نحن نعيش في الوطن، والوطن للجميع، رغماً عن أنف من لا يرضى.

لن نحتاج منك يا (..) أن تقول بأنك من أعرق العوائل، ولن نحتاج أن تقول بأن هناك عوائل لها أكثر من أربعمائة سنة تقطن في الأراضي الحجازية. كل من يحمل جنسية هذا الوطن هو مواطن، له كل الاحترام والتقدير، وله حقوق وعليه واجبات.

الحجاز بلادي، كذلك نجران وعرعر والخرخير والجبيل والرياض.

★ ★ ★

ليكن شعارنا: قاتل الله التعصب، و"المراهقة السياسية".

★ ★ ★

نعم ودائماً لا يحس العنصريون بعنصريتهم. ألا قاتل الله التعصب. (قال ماذا؟: ملك كريم!).. هذا من إدمان قراءة منهج تاريخ الرابع إبتدائي. هل تعلم يا (..)

ما تقول وبأي شئ تهرف، وأي هويه تتكلم عنها؟

★ ★ ★

يقول الله جل وعلا في كتابه الكريم: (وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم). إنها دعوة لنبذ التعصب والعنصرية والتي تدل على الجاهلية الحديثة. الرسول صلى الله عليه وسلم يقول عنها: (دعوها فإنها منتنة). نأتي نحن ونثير العنصرية الممقوتة. فأيننا من تعاليم الدين؟.

إننا جميعا أبناء وطن واحد له وحده الإنتماء. وأراك أخي (..) قد أخطأت خطأ كبيراً بإثارة مثل هذه العنصرية الممقوتة والتي ستؤدي حتماً إلى الفتنه (والفتنة نائمة لعن الله من أيقظها). حاشا أن أتهمك بالفتنة، ولكني وربي أمقت التعصب والعنصرية مقتاً شديداً، وأربأ بالجميع عنها.

هذا حجازي، وهذا نجدي، هذا شيعي وهذا صوفي وهذا سني. هذا خضيري وهذا قبيلي! وخذ من هذه المسميات التي ما أنزل الله بها من سلطان. إلى متى سنظل في هذا التخلف والجهل؟. أنا يا أخي نجدية ولكني أكثر ما أكره في الإنسان التعصب والعنصرية، سواء كانت دينية مذهبية أو غيرها، لأن الجميع موحد بالله ورسوله.

★ ★ ★

وما المانع ان يفكر البعض بالانفصال؟ حق التفكير مكفول لجميع البشر، ولن تدوم أمّة ما لم تكن الفكرة قد طرحت واختار الناس بأنفسهم الاتحاد. وإن القول بوجود لجنه نجدية وحجازية هي من اختار الاتحاد، فذلك حسب علمي (حتى لو كان صحيحاً) فإنه مجرد أفعال يقوم بها قائد ماهر مثل عبد العزيز من أجل التاريخ لا غير. لا أحد يستطيع تجاهل مذابح (الاخوان) للأهالي الأبرياء في الطائف أثناء انتصارهم في تربة، وهروب أهل مكة خوف المذابح، وكذلك مسألة حصار جدة لمدة طويلة حتى استسلم الشريف علي وقبل بالمنفى.

★ ★ ★

الحجاز كجمهورية مستقلة؟! هذه نكتة سيئة، أم تخاريف حالم؟ والله لم أسمع في حياتي التي عشتها في الحجاز من يردد هذا القول أبداً. نحن لا نسمّي الحجاز بهذا الإسم، فقط سمعناه بعد أن كبرنا من غيرنا. وعموماً فإن مواضيع كهذه تسيء إلينا جميعاً، وتثير النزعات العنصرية الهدامة. معظم أهل الحجاز من القبائل الأصيلة، وهم قوم مسالمون ولا يميلون إلى الشر، لهم طبائعهم وعاداتهم الأصيلة، ومن قدم إليهم من شعوب أخرى فإنما كان لسبب ديني، وقد أحبوا هذه البلاد الطاهرة، ومحضوها إخلاصهم. هؤلاء قدموا للبلاد الشيء الكثير، فتلاقح الحضارات يصبّ دائما في مصلحة الأمم. علينا أن نعترف بدورهم في إضفاء المزيد من التحضّر والحيوية إلى ثقافة البلد، ومهما قيل فهم بوجودهم في البلاد وتعلمهم لغتها صاروا أهل بلد حتى لو كانوا من أصول غير عربية. هم مسلمون أولاً، وعرب بالإلتحاق بالعرب وتكلمهم للغتهم، كما في الحديث الشريف: (العربي من تكلم العربية).

أما من لا يعجبه قولي هذا، فليدفن غيظه وحقده في نفسه. علينا أن نتوقف تماما عن هذه الدعوات العنصرية القبيحة، سواء أكانت شعوبية أم مذهبية أم إقليمية. فنحن شعب واحد وكل قسم من بلادنا يكمل الآخر.

ففي الحجاز الأماكن المقدسة، وفيها الراحة والروحانية وسكينة النفس. وأهلها معروفون بخصائص كثيرة ومتميزة. ومن نجد جاءت الدعوة التصحيحية وسط البلاد ومركزها، وبفضل رجالها تم توحيد البلاد وضم أجزائها مترامية الأطراف. وفي الشمال أناس كرماء وشجعان وأصحاب مبادئ وأخلاق كريمة، ولهم تراثهم العتيد وعاداتهم المعروفة. وفي الشرقية ظهر النفط فأكسب الجزيرة كلها قوةً ونعيماً ورخاءً. أهلها تجار وصيادون.. وبينهم أهل علم وأدب وفن وكانوا رواد حضارة أذكياء مجتهدون ومتفتحون ذهنيا. أما الجنوب ففيه الخير كلّه.. هناك اجتمع المجد من أطرافه: الخصوبة والتراث والأصالة والنخوة والشهامة العربية.

وبعد.. فنحن أمّة متعددة الأجناس والطباع والألوان والأشكال، وهذا لا ضرر منه، ولكن الذي يحيرني هو:

ما لذي يجعلنا الآن هكذا أعداءً لبعضنا البعض؟ من له مصلحة في إثارة هذه النعرات التي حذرنا منها ديننا ونهانا عن الوقوع في مخالبها؟ ماذا سيبقى لنا إن تفككنا وتعادينا وحقدنا على بعضنا البعض؟

توقفوا بالله عليكم عن هذه الدعوات الكريهة المتعفنة، وأعلنوها دعوة لحب الوطن والإنتماء إليه. دعونا نتعاون على حل مشاكل هذا الوطن، ونتعاون على نشر

الحب والسلام والجمال في ربوعه.

★ ★ ★

الحجاز ونجد إقليمان متحدان ثقافياً وبشرياً منذ الأزل. هما أرض مضر، وأرض عدنان. انظر في التاريخ، فإنه لم يوجد عدنانيون خارج الحجاز ونجد والمنطقة الشرقية بتاتاً إلا بعد انتشار الاسلام. حتى اللغة كانت واحدة، وكانت قصائد الشعراء النجديين وشعراء الساحل الشرقي تعلَق على أستار الكعبة، بينما كان الرسول يكلم أهل باقي الأقاليم العربية بلغتهم، أو بترجمان.

لم تتكون المملكة السعودية من هذه الاقاليم صدفة، بل هو التاريخ والتكوين البشري والتداخل القبلي والجغرافي. ولا يمكن أن يفككها أو يفرقها إلا اجتياح أو دمار هائل . وإذا تفككت، فلن تتفكك نجد والحجاز فقط، بل كل شيء، حتى حاراتنا و بيوتنا وأجسادنا.

صحيح ان الحجاز ونجد والبحرين (الشرقية) كانت منفصلة، ولكن ذلك كان إنفصالاً بحكم الغياب التاريخي للدولة الخاصة بجزيرة العرب، بل إن حائل كانت منفصلة، وكذلك القصيم والجوف والوشم وعسير وجيزان وسيهات والهفوف. كل شيء كان منفصلاً وسط عالم لا يتحرك الا حسب منطق القبيلة وانعزالاتها المقيتة.

و بعد الوحدة، لعب حضر المدن الحجازية دوراً كبيراً في دفع البلاد نحو آفاق أكثر مدنية، وأثبتت الدولة السعودية أنها تجاوزت المنطق القبلي أو العنصري أو الاقليمي في طريقها الى ترسيخ الوحدة و التطوير. ففي الوقت الذي لا يمكن أن تجد سعوديا بارزا في اليمن أو يمنياً في مصر، أو سودانيا في سوريا، ستجد أن وزير خارجية السعودية مثلا كان من أصل خارجي، وستجد أن أكبر أثرياء البلاد ووزراءها ينتمون الى أصول أخرى، ولم تمارس ضدهم أية أنواع من العنصرية. كل هذا تمَ في بلاد تعتبر معقلا للعنصرية القبلية وتنكفئ على الانساب و الاصول، خصوصا بين أهل الحجاز و نجد.

أنا اتفق كثيرا مع ما قاله (..) واختلف معه في مسألة توحيد المملكة بالإتفاق.

الصحيح أن الوحدة جاءت عبر الفتح على يد قائد فتح الحجاز الفذّ الشريف خالد بن لؤي، ولم يكن لقوة أن تقف أمام زخم الجزيرة العربية عندما تجد قيادة موحدة وقادرة وتاريخية.

★ ★ ★

نحن قد نختلف مع الحكومة في بعض الأمور، وبالتأكيد فإننا نختلف مع التيار الديني المتطرف في نجد، ولكن كلنا مع الوحدة الوطنية، ولا نقبل بأي حال المساس بها من قريب أو بعيد. أما الذي تحدثه نفسه خلاف ذلك، فقد جانب الرشد وسبح عكس التيار.

★ ★ ★

هؤلاء القوم مصابون بمرض العظمة. إنهم يرون أنفسهم صفوة المخلوقات، والحمد لله انهم قلة. لو أردنا الخوض في مثل هذه الموضوعات لوجدنا البون شاسعاً ثقافياً وفكرياً بينهم وبين من سواهم في باقي مناطق المملكة. يجب أن نتّحد ضد هذا الفكر المتخلف. قد تكون للمراهقة دوراً في ذلك، حيث أن من يثير مثل هذه الموضوعات وخصوصا من نجد فإنه سيكون الخاسر في نهاية المطاف. كيف: إذا - لا سمح الله - تمزقت المملكة، وأصبحت دويلات.. تخيّل معي هذا السيناريو: الحجاز لديه بيت الله ويحج إليه المسلمون، وهناك مواسم العمرة التي لا تنقطع. بمعنى أن الحركة التجارية مستمرة ومتدفقه وسيعيش أهالي الحجاز على مردودات السياحة الدينية.

الجنوب، من جهة أخرى، لديه الزراعة ووفرة المياه. أما الشمال فارتباطه الثقافي وثيق ببلاد الشام ومن المحتمل جداً تطوير نطاق التجارة والإستثمار معه. في حين أن المنطقة الشرقية ستكون غنية إقتصادياً لوجود البترول . وتبقى منطقة نجد، فماذا لديها؟ لا شيء تقريباً. لا مياه، ولا زراعة، ولا سياحة! تخيل قيساً يمتطي صهوة حماره (!) ليجلب قليلاً من الحطب! فمن هو الخاسر في نهاية المطاف؟!

يجب على كل من يرى نفسه من أهل نجد أن يعرف واقعه في حالة الانفصال والتمزق، ولا بدّ أن يكون أهالي هذه المنطقة من أحرص الناس على الوحده الوطنية وتمتين لحمتها.

★ ★ ★

يقول (..): (أما من تسخر منهم على أنهم شعوبيين، وتعتبر أصولهم عيباً، في جهل وعنصرية واضحة.. أحب أن أذكرك أنهم أكثر من ساهم في تطور هذه البلاد، سواء في الوزارات أو في الجيش أو في النهضة العلمية والنقلة الحضارية)!

من هم هؤلاء يا (..) الذين ساهموا في تطور البلاد؟!

هل هم: عمر شمس، رئيس المباحث السابق، الذي ملأ السجون والمعتقلات واستخدم ألعن وأشد ألوان التعذيب ضد مواطنين أبرياء؟ (راجع ثلاثية تركي الحمد). أم (..) الهارب من وجه العدالة والمختلس الأكبر، أم (..) الذي أسس يوم كان وزيراً شركة باسم إبنه ليسرق من خلالها؟

حقاً!! لقد ساهم هؤلاء في تنمية البلد، ولكن بزيادة عدد المختلسين والحرامية.

أما من ساهم بصدق في بناء هذه الدولة، فهم عبد العزيز ورجاله، والذين لولاهم لكنتَ من الذين يحملون قرب ماء زمزم على ظهورهم ليبيعونها على الحجاج. هؤلاء هم المؤسسون. وفي المجال الإداري يسطع نجم أول وزير للبترول السيد عبد الله الطريقي (الرجل الذي قال لا لأمريكا) وغيره من رجالات نجد الأبطال.

اذا كان الحديث عن الوهابية النجدية والسلفية النجدية، كان شعاركم السكوت من ذهب. أما إن كان الحديث عن الشعوبيين والمذهبيين، فتظهر الوطنية المفترى عليها. عاشت الأزدواجية والنظرة الأحادية أيها الأحرار الشرفاء.

★ ★ ★

من قال اننا نرضى بما قام به من ذكرتهم ؟

ولكن لدينا مثل هذه العينات الكثير (في نجد). وقاموا بنهب أضعاف ما قام به من سردت أسماءهم في مداخلتك، وأنت تعرفهم جيداً. أنا لا أفضل التطرق للأسماء ولكنهم معروفين للجميع. نحن نتحدث هنا عن قضية نعيشها منذ توحيد المملكة ولا نزال. نحن نتحدث ونقول أن الوطن للجميع، ومن يحمل جنسية هذا الوطن مواطن له كافة الحقوق وعليه كافة الواجبات. (لدينا خير يا ابن الحلال) يكفى أن أنبوب (ماسورة) مياه التحلية تمر أمام منازل أهالي الدمام متجهة للرياض، وهم ينظرون إليها بكل حسرة.

★ ★ ★

يا أخي أنت إنسان جد مأزوم، ونظرتك الفوقية للفئة التي تسخر منها، مقرفة جداً.. وكلامك عنصري شوفيني ذاتي سفيه لا

يحمل أي قيمة أو حقيقة أو فكر أو حتى وجهة نظر. تقبل أسفي لأنني اعتبرتك أهلا للنقاش، وتذكر فقط أنني أستطيع أن أعطيك قائمة مكوّنة من آلاف أسماء النصابين من أبناء منطقتك، وأولهم أمراء العائلة الحاكمة، لكنني وقتها سأقول عنهم مجرد نصابين: لا حجازيين شعوبيين. إن الأمور لا تداول هكذا بالتشهير والتلفيق وبالنظرة الضيقة وبالشوفينية المريضة يا مقرف.

★ ★ ★

إسمح لي ان اقول لك بأنك سويذج، وقد عرفت ذلك من خلال بداية مقالك الذي خرفت فيه بما لا تعرف، ثم تأكد لي من خلال عرضك للأسماء، وكأن الفساد مخلوق حجازي، وكأن (كبار الجماعة) يا الله من فضلك من أكثر الناس طهراً ونقاءً. أريد أن أعرف هدف المقالة؟ هل هو التحذير من أهل الحجاز، أم التشكيك بوطنيتهم، أم هي نظرتك الاقليمية الكريهة الضيقة؟ قبل أن ترميني بالشعوبية، أود أن أعلمك بأنني نجدي تميمي، خلق أجدادي منذ آدم في هذه الأرض.

★ ★ ★

يبدو انك تعيش مع جدتك وقد تأثرت بشدة بأفكارها القديمة. أنت تحتاج الى دورة تأهيل لدخول القرن الواحد والعشرين، حتى لا تصاب بدوار البحر.

إعلم رعاك الله، اذا كنت تنتمي الى منطقة الرياض أو القصيم، بأنك لا تمت الى نجد التي تفاخرت بها بأي صلة، فمدينة الرياض وما جاورها هي منطقة اليمامة والعارض! وقد تفاجأت باكتشاف أن اليمامة والعارض لا تنتميان الى نجد اطلاقا.

ولك أن تعود الى كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي، أو صفة جزيرة العرب للهمداني، أو مقدمة ابن خلدون وغيرها من أمهات الكتب التي ألفها العلماء في القرون الأولى من الاسلام، وستكتشف أننا نفاخر بأمجاد سوانا ونكثر من ذلك!

لقد حدد المؤلفون القدامى جميعهم منطقة نجد بالمنطقة الواقعة بمحاذاة جبال السروات من الشرق، بل حددها بعضهم بالاسم بالمنطقة الواقعة بين عكاظ (الطائف) وتباله (قرب بيشة) وجرش (قرب أبها) ويلي نجد من الشرق الأحقاف ثم بلاد اليمامه. أي أن اليمامة ليست حتى مجاوره لنجد. ومن كتب التاريخ فانه لم يشر الى اليمامة باسم نجد، إلا بعد ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ولعل ذلك لتعوّد أهل مكة في ذلك الوقت على إطلاق إسم نجد على كل ما كان شرق مدينة الطائف دون تحديد، فالتصق إسم الدولة السعوديه باسم نجد. وهذا لا ينتقص من أمجاد اليمامة بلاد الأعشى وجرير والفرزدق وغيرهم.

إذن.. عليك بعد التحقق من ذلك أن تتفاخر باليمامة بدلا من نجد، وأن تبدأ في اعتبار نجد بلاد الأعداء، حسب رأي جدتك، حيث أنها تقع في ما تسميه هي العدو الحجازي.

أما إذا كنت من خارج هذه البلاد فاعلم أنه لم يعد لما كتبت تأثير في إثارة النعرات لارتفاع مستوى التعليم والوعي في المملكة عن ما هو في باقي البلاد العربيه بما فيها بلدك. ولعلك قد فهمت ذلك من خلال الردود.

★ ★ ★

لقد عالجت الخطأ بخطأ آخر، فمن أين أتيت بأن الحجاز ونجد والأحساء كلها عدنانية مضرية، وأن الرسول (ص) كان يكلم العرب غير العدنانيين بترجمان؟ فأين كانت قبائل الأزد التي منها الأوس والخزرج، وأين كانت جرهم وقطاعة وطي ومذحج وحرب وكل هذه قبائل قحطانية. إن كلامك يثير الضغينة من قبل عدد من القبائل القحطانية التي تنتشر في جميع مناطق المملكة ومنهم الدواسر والعجمان وبني مرة وحرب وشمر والهواجر وآل عائذ.. وغيرها الكثير.

أضف الى هذا، فإن قبيلة مضر انتشرت في الحجاز ونجد، أما اليمامة والأحساء فلم يكن فيهما من مضر سوى قبيلة تميم، أما باقي قبائلها العدنانية فهي من ربيعة. أما اللهجات فقد كان هنالك لهجات عربية مختلفه مثل لهجة تميم أو حمير وغيرها. وقد خاطب الرسول بعض الوفود بلهجاتها من باب التلطف في القول، ولا يصح إحياء نعرات ميتة من أجل إخماد نعرة لم تعد قائمة الا في عقول قلة من الحثالة المتخلفة.

★ ★ ★

ليست المسألة جامدة كما تتصور، فالعدنانيون ليسوا بالضرورة من أبناء عدنان، إذ أن هناك أقوام (تعدننوا) أي تحولوا الى رعي الإبل، وتكلموا بلغة مضر. والاوس والخزرج ذوو أصول قحطانية ولكنهم تعدننوا بكل شيء، وكذلك بعض طيء، بل وكندة والأزد. بكلمة أخرى، لا يمكن ان تقارن حياة واسلوب عيش ولغة "حرب" مثلاً، بلغة مذحج أو همدان في اليمن. وليس حديثي عن عدنان الا حديثا عن اسلوب العيش واللغة، وليس تفضيلا لأحد على أحد، فالكل عرب.

اما اللغة فهي أمرٌ ثابت تاريخياً، فاللغة العدنانية كانت منتشرة فيما يسمى اليوم بالمملكة العربية السعودية من نجران جنوبا حتى عرعر شمالاً، أي انها تشمل مناطق رعي الإبل والبشر الذين يمكن تسميتهم بالبدو الصافين، وهذا لا يعني انهم أحسن من غيرهم، فاليمن هو بلد الحضارة العريقة على كل حال. ولو أخذت لغة حمير مثلا وهي موجودة في بعض المناطق حتى الآن فلن تفهم منها كلمة واحدة الا كما تفهم من اللغة السنسكريتية.

ليس في كلامي ما يثير الضغينة فهو كلام في التاريخ واللغات. ولذا قلت بأن نجد والحجاز والبحرين وعسير كانوا يشكلون كياناً قبلياً ولغوياً واحداً، حتى وإن اختلفت أصول قبائلها بين جذمي العرب، وهذا لا يلغي ان جزيرة العرب كلها تتكون من نسيج واحد يتدرج بالاختلاف من الجنوب الى الشمال، ومن الغرب الى الشرق و بالعكس.

أما فيما يتعلق بنجد واليمامة، فقد اعتبر الفقهاء اليمامة جزء من الحجاز ورأوا أنها والحجاز فقط تدخلان في حكم الحديث: "لا يجتمع دينان في جزيرة العرب". أما باقي مناطق الجزيرة العربية فهي خارج الحكم. واليمامة هي المنطقة الواقعة على امتداد جبال اليمامة (طويق) من الزلفي شمالا حتى الربع الخالي جنوبا، ونجد هي كل الهضبة من الصمان شرقاً حتى جبل حضن غرباً بما فيها اليمامة، قصبة نجد، كما أطلق عليها المؤرخين. كما أن هناك من اعتبر الطائف ويثرب جزءً من نجد، وبغض النظر عن خطأ هذا فإنه يمكن الإستدلال بذلك على تداخل الإقليمين بعضهما البعض.

تأوهات على قارعة اليوم الوطني السعودي!

يدل إسم المملكة العربية السعودية على ملكية آل سعود للبلاد ومن عليها من غير تحديد جغرافي للمكان. آل سعود مواطنو الدرجة الأولى، ويتمتعون بإمتيازات لا حصر لها منذ أن كانوا أجنّة في الرحم الى أن يواروا الثرى. ثم تتدرج حقوق المواطنة بحسب القرب المكاني والعقيدي للآل ومَنْ آل إليهم.
كل إنسان في الدنيا له جنسيته المعرفة بموقعه الجغرافي أو بإنتمائه الى وحدة وطنية، أما نحن فننتمي لآل سعود فهم الجغرافيا والتاريخ والدين والأرض والعرض والحكومة والعصا والجزرة.. هم طبق الأرض وملء السماء.
نحن كشعب (هل نحن شعب حقاً؟) نصنّف أو يصنّفنا آل سعود ومن آل اليهم تصنيفاً عنصرياً ومذهبياً ومناطقياً. أصبح سكان الشمال في عداد المفقودين: لا إهتمام بهم أو صوت، بل هم ليسوا من المرغوب فيهم ضمن سكان المملكة. وأهل الجنوب (قرود على حيود) كما كان الملك المؤسس يصفهم: مواطنون من الدرجة (صفر سبعة ـ ٠٧ على أساس مفتاح الهاتف)، وهم في مجملهم محرومون من الرعاية والتنمية حتى ضمن حدودها الدنيا، إنهم مجرد جنود وعساكر يخدمون السيد الكبير القابع في نجد، وبعضهم يعمل في استخباراته. أما سكان الغربية فمناقيرهم من حديد (أيضاً كما كان يقول الملك المؤسس!!) وهم طرش بحر، متصوفون ينافون عقيدة التوحيد النجدية. وسكان الشرقية شيعة مغضوب عليهم، كانوا ولن يزالوا في أدنى سلّم الهرم الإجتماعي. طبعاً هناك إستثناءات فردية لا تدخل ضمن القاعدة العامة. هناك طبقتان في المجتمع: طبقة الآل ومن آل اليهم، وطبقة (الرعايا) الحفاة العراة الذين ينتظرون فتاتاً من فيض الطبقة الأولى.
السؤال: كيف يحس (الرعية أو المختوم بالتابعية السعودية!) بالإنتماء الوطني إذا كان متيقناً بأنه مهما بلغ من علم أو عمل، فإن هناك خطاً واضحاً لا يتمكن من تجاوزه. حينها يسألونه لمن يكون إنتمائك وإخلاصك؟ فيقول بأنه لمذهبه وقبيلته ومنطقته. أما الدولة فهو ليس معرّفاً فيها بأكثر من رقم، وأما الدين المفروض فمذهبية عنصرية مقيتة تراه ضالاً حتى وإن اتبعه، أما إذا بدّل مذهبه فسيكون ذلك مبرراً لاستمرار الحرب ضده وحرمانه من حقوق المواطنة.
هل هذا هو الإنتماء الوطني الذي يُبحث عنه؟

★ ★ ★

السعوديون.. صحن السلطة

هناك نظرية في العلوم السياسية تقول بأن الإندماج الوطني يكون ضمن ما تمّ تعريفه في الدراسات الأنثروبولوجية وهو: قدر الصهر، أو Melting Pot والذي يوجد أوضح نموذج له الولايات المتحدة. إن قدر الصهر يعني فيما يعني الإحتفاظ بالخصائص للمواطن، وفي نفس الوقت يشارك ضمن القدر في صنع ثقافة جمعية للمجتمع الأميركي، وهي على أية حال ثقافة متنوعة، تحترم خصائص الجماعات والأفراد، وفي نفس الوقت تفسح لهم المساهمة في صناعة الثقافة (العليا) للوطن كله.
نحن (رعايا المملكة المسعودة) ليست لنا نظرية في الدمج، بل لا تؤمن القيادتان النجديتان الدينية والسياسية به، هما تريدان الصهر للمختلف في البوتقة النجدية ليلغى تماماً كعنصر متميّز. وهما تريدان في نفس الوقت أن لا يكون لهذا (المصهور) أي ميزة أو حق بل أجير تجري عليه السياسة القديمة. وإذا ما قاوم هذه السياسة فإنه ـ كما هو الحال منذ تم توحيد المملكة قبل سبعة عقود ـ يصنف رعيّة يتفضّل عليه أحياناً ببعض الحقوق التي لا تزيد عن حقوق الحيوانات!
ما تزال العنصرية والطائفية والمناطقية والقبلية مسيطرة في هذا الوطن. هناك منتفعون من استمرارها، ليس بينهم ـ قطعاً ـ أنا وأنت وهو، الذين نشكل صحن السلطة الذي لا يراد له الإنسجام والتسالم الإجتماعي.

★ ★ ★

تحريم الإحتفال باليوم الوطني

احتجّ الوهابيون على الملك عبد العزيز حين أراد الإحتفال بـ (العيد الوطني). قالوا له: أيها الإمام! لا يوجد في الإسلام إلا عيدان: الأضحى والفطر، فمن أين أتيت بالثالث هذا؟
رضخ الملك، وكان يهمه الإحتفال بالعيد أمام السلك الدبلوماسي وليس الشعب. وتم تغيير الإسم الى (اليوم الوطني) الذي يصادف ٢٣ سبتمبر من كل عام! وجعلوا التاريخ المعتمد بالميلادي، حتى يمكن التعاطي بروتوكولياً مع هذا التاريخ الثابت، وإلا أصبح اليوم الوطني بالهجري مختلفاً عن الميلادي في كل عام.
مرّ اليوم الوطني الأخير، ولم يحسّ به أحدٌ في العادة. سوى بعض موظفي الشركات الخاصة الذين شعروا بالراحة لوجود يوم عطلة!. طلبة المدارس لم يعطلوا، ولا موظفي الدولة، ولا أحد آخر. ربما كان الإعلام المحلي قد نشر في هذه المناسبة أو أذاع بعض الفقرات التاريخية المملة عن كيفية توحيد المملكة. وانتهى كل شيء، فالمواطنون لا يتابعون ولا يقرؤون الإعلام المحلي إلا

نادراً.
المفروض ان يحتفل باليوم الوطني وعلى جميع الأصعدة الحكومية، ولكن مطاوعة الوهابية لا يسمحون بذلك، حتى وإن بدت أهمية الإحتفال في تعزيز الشعور بالوطنية والإنتماء خصوصا لدى الأجيال الجديدة، بدلا من الهوس الديني الذي أوردنا موارد الهلاك.
هناك من بين المطاوعة من يحرم (الوطنية) ويعتقد أنها عقيدة! باطلة. وهناك من يحرم المساواة بين المواطنين: لأن فيها مساواة بين صحيح الإسلام وسقيمه، وبين الكافر (الشيعي والصوفي) والمسلم (الوهابي) فضلاً عن أنه يعطي أصحاب العقائد الباطلة سلطة ما في الدولة تؤثر على عقيدة الوهابية الصحيحة!
الوطن كما لا قيمة له عند هؤلاء.. بل المذهب هو المهم. وتخصيص يوم وطني والعطلة فيه حرام!
هل يمكن أن تنشأ وحدة وطنية وثقافة وطنية وفق هذه العقلية السائدة غصباً على مجتمع المملكة؟

★ ★ ★

كأسك يا وطن

أجدني متفقاً مع سادتي علماء نجد وقيادتها السياسية العبقرية: لماذا نحتفل باليوم الوطني؟ هل هو يوم حرية أو تحرر من استعمار أجنبي؟ إنه يوم احتفال بدخولنا في عهد عبودية للفئوية والطائفية، وقد دمغ كل منتسب لهذه الأرض بختم عبوديته فأصبحنا جميعاً سعوديين مسعودين. إنها مهزلة: حتى في العصور الوسطى لم يجرؤ أحد على تسمية دولته بإسم عائلته!
إن الحرية التي كنا ننعم بها لهي أعظم وأفضل من أن نكون عبيدا لعائلة، مهما كانت ومهما كان فضلها ومقامها. هنيئاً لكم أيها (الرعايا) وأيها العبيد بوطنكم الحر الكبير! أما أنا فوطني قرية صغيرة في وسط الصحراء.. وإذا ما وجدتُ وطني الكبير الحرّ، فسأحتفل به معكم سوياً.

★ ★ ★

سعيد أيها الوطن

في يوم الوطن.. نحتفل به (كيف ومتى؟) بمزيج من الحيرة و ضبابية الرؤية وخوف الغد وغياب الطمأنينة! مادامت العلاقة بين قمة الهرم و البقية في إطار (حنّا أخذناها بالسيف الأملح)!، ومادامت القمة حريصة أكثر على تقديم المبادارات و التنازلات للخارج لتتقوّى بذلك علينا نحن (الرعايا) و (العبيد) في الداخل!
سنحتفل يوم لا يربي الأب إبنه على أنه إبن القبيلة أولاً، أو إبن المنطقة أو إبن المذهب، ويوم لا يعلمه بأن الآخر (رافضي خبيث، وطرش البحر صوفي، وعسيري متخلف) و(حنّا أحسن من غيرنا)!
سنحتفل بيوم الوطن حين تختفي طوابير البطالة المتأنّقة في التخصصي وحراء والراشد باحثة عن جسرٍ أو خيال امرأة! وحين نرى صناديق الإقتراع، ورؤوس الفساد من أمراء وغيرهم في السجون يُنشر غسيلهم على صفحات الجرائد لما أجرموه بحق الوطن وأهله.
سنحتفل جميعا بخفض سعر البنزين، وبخفض رسوم وضرائب الجوازات وفواتير الكهرباء والماء والهاتف. يوم لا نرى سجناء رأي، وتعليماً جامعياً للجميع بدون استثناء، ووظائف تستحدث للأجيال الضائعة، ورواتب محترمة تتناسب مع أكبر دولة منتجة للنفط.
نريد وطناً لا حبساً بمساحة مليوني كيلومتر مربع.
نريد وطناً لا يسأل أبناؤه : شكلك مو سعودي! وهل أنت سعودي بالأصل ؟!
وطناً لا يبقينا مجرد ماسحي أحذية لطوال العمر!
وطناً نمشي فيه مع زوجاتنا وأولادنا بدون إعتداء أو خوف.
وطناً لا يحجر الرأي.. مكتباته عامرة، ورقابة السلطتين السياسية والدينية مختفية.
نريد أيها السادة وطناً لا حظيرة حيوانات، ولا سجناً للأبدان والأرواح.
وطناً لا يتواطأ فيه أمراؤه مع الأجنبي فيسرقوا مستقبل أجياله، وتستباح كرامته.
وطناً لا يلغي نصف سكانه لأنهن نساء، وخمسهم بسبب مذهبهم، وما تبقى لأنهم من منطقة أو قبيلة مختلفة.
سعيد يا وطني .. لا أدري متى.. لكن ربما!

★ ★ ★

لأجل عيون الوطن

يحق لك الغرور يا وطني، فعشقك يجري في كل العروق.. و نبضك يزلزل كل قطرة دم جارية في الشرايين. كم تتألم و كم تؤلم، وتبقى الحبيب الأوحد.
أحبكَ يا وطني: تسير فوق قطار الزمن، فتولد طفلة باسمة تنمو بحياء، ويكبر طفل صغير، ويموت الكهل، فهل ترحل أنتَ معهم، أم تبقى مسافراً في الأوردة؟!
يا تلك العيون العابرة ، المغادرة ، أو ربما الهاربة من جهل الوأدِ إلى وهم التحرر، لا عز لكِ إلا بالوطن!
ويا أيتها الطفلة الباسمة، الموسومة بالحياء ، تكبرين وربما تقيدين بجمر الإستعباد، ولكن حتماً ستبقين أجمل عطر للوطن!
أيها اليافع النقي الطاهر ، مد لي ساعدك و لنسير ببناء الوطن ! لنبقَ ماء للوطن.. سماء للوطن .. دمعة حزن سرمدي ، وأملاً بأن مستقبلنا ليس التفتّت والضياع!
لنكتب بأيدينا حروفاً للوطن المهان، والشعب المستعبد.. لنرسم لوحة له لم تحرمها أساطير البلهاء، وخربشات القيادة المفسدة والغبيّة.
لنرسم أجمل وجه للوطن.. وندعو له بطول العمر!! قبل أن تتخطفه يد المنون!
قد يكون الغد أفضل لنا جميعاً، وقد يكون الأسوأ إذا انهار سقف الوطن على رؤوسنا.
في ذكرى مولده، نرقص العرضة النجدية مع القيادة الرشيدة وعلى الهواء مباشرة! إنه يوم فرح الوطن الحزين. يحرم فيه السرور، والبكاء أيضاً، وتقطف فيه أعناق الأحلام وإن كان حلمنا سيطول.
وطني ليس (الوهابية) المتعصّبة.. ولا يُمكن أن يختزلْ في (آل سعود).. وطني هو أنا وأنت وهو. الأشخاص والأشياء. الرمل والماء والبراري والجبال. قصيدة شعر لم يكتبها أربابِ النبط، ولوحة أثر لم تدمرها معاول التعصّب، وبئر ماء لم تعكّره أوزار الطائفية والعنصرية وعقول الصغار .. الصغار حقا!

دولة نموذجية!

إن هذه الدولة نشأت على العقيدة وعلى الدعوة ليست على العصبية أو الإقليمية إطلاقاً، بل نشأت كدولة موحدة... وسقطت الدولة الأولى وقامت الثانية وسقطت الثانية فقامت الثالثة وستستمر بعون الله بأبناء وطنها.

نعم تأتينا تهديدات.. ونعم تأتينا ضغوط العالم كله ولكن إذا أصابتنا سهام تكسرت النصال على النصال. وطن كهذا لم يبنه مستعمر أو دولة أخرى، بل بنته السواعد بالكفاح المديد حتى أصبح وطناً واحداً وأبناء وطن واحد وما بني على العقيدة والصدق لا يمسه أي مسّ.

ربما هناك بعض المقالات والأشياء التي (تُنشر في الصحافة المحلية) تحز في نفسي كمسؤول في الدولة وأنا أعبر أيضا عن أي مسؤول في الدولة عندما أجد مثل هذه المقالات لا تخدم المصلحة وإذا كان هدفها مصلحة الوطن فأقول أهلا وسهلا.

الأمير سلمان بن عبد العزيز
عسير ٢٠٠٢/١٠/١٥

★ ★ ★

الرقابة والإنفتاح

أننا ننتظر حالة ثقافية جديدة تتميز بالتسامح والتفهم والمقدرة على الإثراء أثناء المعارك الثقافية والفكرية، نتجاوز من خلالها حالات الاختناق الفكرية المشهودة التي ضاق بسببها هامش الحوار والاعتدال حتى أصبح بعض التلاميذ يزايدون على مشايخهم ومعلميهم ليقضوا على أية بادرة انفتاح واعتدال خطابي! نتيجة تربيتهم السابقة في أجواء أحادية الرأي.

إن مجتمعنا يعد أفضل سوق عربية للكتاب. السعودية تشكل نسبة ٥٠٪ مما يستهلك من الكتاب في العالم العربي وهي كمية تنبئ عن مستقبل يفترض أن يكون قياديا في الطرح الثقافي والعلمي. وسيكون الوضع إيجابيا مع استمرار حالة التسامح الرقابي الضروري لصنع ثقافة منفتحة وعاقلة.

الرقيب يمارس نوعا من الرقابة الاحتياطية المضاعفة نتيجة وقوعه في ظروف سيئة فيستسهل نتيجة ذلك عملية المنع والحذف للسطور في المقالات وتمزيق الصفحات لشعوره بأن خطأه في المنع والحذف لن يحاسب عليه بمثل ما يحاسب عليه عند الإجازة لأية مادة.

عبدالعزيز الخضر
الوطن السعودية - ٢٠٠٢/١٠/١٦

★ ★ ★

طوابع بريد مكررة

كتبت هنا بكل ما أستطيع عن مذلة الفقير ومعاناة العاطلين عن العمل وطوابير شبابنا الذين يبحثون عن مقعد جامعي. تكلمت عن وطني الذي أحبه وعن أمتي التي هي منهجي وتاريخي ومستقبلي ثم اكتشفت أن هناك تعريفا مختلفاً للأمة والوطن غير الذي أعرفه ثم اكتشفت أن الأمة والوطن ملك شخصي لآخرين ولا دخل لي بهما ولهذا آثرت الانسحاب. سأنضم إلى "الطابور" الذي لا يفتح قضية. لماذا أجادل بالرأي المختلف في عالم كله طوابع بريد مكررة؟ ولماذا لا أنضم إلى بقية العارفين بأكل "الكتف"؟

علي سعد الموسى
الوطن ٢٠٠٢/١٠/١٩

★ ★ ★

كعكة السعوديين

سحب المستثمرون السعوديون ٢٠٠ مليار دولار من السوق الأمريكية (من ٧٥٠ مليار) كردة فعل تحسبا من إقدام السلطات الأمريكية على تجميد الاستثمارات السعودية خاصة بعد أن بلغت التعويضات المذكورة في القضية مبلغ الخيال وطالت شخصيات عامة وشركات اعتبارية سعودية، ولا يمكن أن تمر تلك المطالبات النقدية دون مناقشة.

في حال تصاعد وتيرة سحب الأموال العربية من الأسواق الأمريكية، ستحل ببلاد العم سام نكسة قومية لا نهضة بعدها. بدأ موسم هجرة الأموال السعودية من الولايات المتحدة إلى دول المجموعة الأوروبية التي تتطلع لاستحواذ أكبر حصة من كعكة استثمارات السعوديين، ولا أدري لماذا تفوت تلك الأموال السعودية فرصة إفادة الاقتصاد المحلي منها الذي يعد الأحق بتذوقها.

ندى الفايز
الوطن ٢٠٠٢/١٠/١٩

★ ★ ★

جامعة يا محسنين

(لدينا) شباب من خريجي الثانوية لا توجد لهم مقاعد في الجامعات أين يذهبون وخاصة من ليست لديهم الإمكانيات المادية لإرسال أبنائهم إلى الخارج ليكملوا تعليمهم. هل يعقل أن بلدا مثل الأردن التي تقارب بالحجم مدينة من مدن السعودية لديها خمسون جامعة حكومية وخاصة فقط. هل تعلمون أن بلادا فيها جامعات تعتمد على الطلاب السعوديين بشكل أساسي. إن تكاليف الطالب السعودي بجامعاته وسكنه وتنقلاته ومصاريفه في العام الواحد متوسط في حدود ٣٠ ألف دولار أي ما يناهز ١١٥ ألف ريال. ولو اعتبرنا أن هناك فقط عشرين ألف طالب (هذا الرقم غير صحيح لأن الإحصائيات تشير إلى أضعاف مضاعفة) فإن هناك مبلغا قدره ستمائة مليون دولار أي ما يعادل ٢ مليار و ٣٥٠ مليون ريال تصرف خارج البلاد.

وهذا الرقم (ولمدة عام واحد فقط) يمكن أن ننشئ به عشر جامعات في بلادنا فلماذا لا ننشئ جامعات خاصة ونسمح بفتحها.

أسامة جمال تركي
الوطن ٢٠٠٢/١٠/١٩

★ ★ ★

المطلوب من الحكومة

١ - مواجهة الشعوب بالحقائق مهما كانت مرّة لتكون مشاركتها في عملية البناء جدية، والتضحيات بين الحاكم والمحكوم مشتركة.

٢ - مكافحة الفساد الإداري، وقد يتعذر إنهاؤه، فالفساد موجود في كل العالم وإن اختلفت النسبة. ولكن المهم تقليصه إلى الحد الممكن. المكافحة واجبة، فالفساد هو السوسة التي إذا كبرت وفرخت تضعف الدول وربما تهدمها.

٣ - ترشيد الإنفاق، فالمشكلة ليست مالية، بل في كيفية استخدام الموارد.

٤ - التركيز على تنشئة الجيل الجديد بشكل صحي، بدنياً ونفسياً، وذلك عبر برامج تشغله بما يفيد.

٥ - البناء العسكري المدروس والتدرجي بشقيه التجنيد والتصنيع.

محمد بن عبد الله الحميد
الوطن ٢٠٠٢/١٠/٢٠

★ ★ ★

صدق أو لا تصدّق

هذا الخبر يدخل في باب "صدق أو لا تصدق"، لكنه معقول لأنه واقع، ويحدث في أحسن "المحافظات" هي محافظة جدة. يقول الخبر إن المدرسة الابتدائية ١٨٥ للبنات ومنذ بداية الدراسة في ١٤٢٣/٧/٧هـ وحتى اليوم - وحتى الغد وبعد غد - دون دراسة، والسبب بسيط للغاية هو عدم وجود معلمات، ولا يوجد بالمدرسة سوى المديرة التي تنتظر وصول زميلاتها المعلمات. اقتراحي ... ترتيب عام دراسي خاص بالمدرسة.. عام خفيف قصير لا تعترضه أي فواصل، أقصد إجازات، بحيث يبدأ من بعد الحج حتى موعد إجازة الصيف ويتم تفصيله بصورة خاصة واستثنائية للمدرسة.

قينان عبدالله الغامدي

الوطن /٢٠٠٢/١٠

★ ★ ★

العلة في المسكوت عنه

أرى من واجب الصحفي أن يواكب الأحداث ومستجداتها .. عليه أن يحرك الراكد والمسكوت عنه فيما لا تتناوله مباحثات الزعماء والقادة بين بلدانهم. إذ قد يكون المسكوت عنه هو العلة والسبب الحقيقي الذي يوتر العلاقات بين الدول.. إلا أنه في كثير من الأحيان يكون حساساً جدا حيث يعتبر شأناً "سيادياً".

عبد الله بن عبد العزيز ادريس

الجزيرة ٢٢ / ٢٠٠٢/١٠

★ ★ ★

الصلاح

الكاتب الصريح أو الجريء.. الذي يكتب وينشر ما يفكر فيه حتى لو كان مخالفاً لرأي شخص أو جهة أو مجموعة نافذة. هذا الفريق سميتهم بفريق الصلاح.
مدافعو الصلاح يختلفون من منطقة لمنطقة.. وهذا يعني أنه ليس له خطوط وأطر واضحة في تطبيقه على الجميع.. فمن خالفها عرف انه خالف أمراً من أمور الصلاح. مدافعو الصلاح هم الأعلى صوتاً والأوضح فعلاً وأثراً.. مع أنهم ليسوا أغلبية في مجتمعاتهم فالأغلبية صامتة إما لتخوف من قمع أو سلبية في الهمة أو المعرفة.
الدفاع عن الصلاح متروك للشخص نفسه في نفسه.. فهو وكيل أمره وطالما لم يتجاوز حدوده إلى حدود الآخرين فهو لم يخالف النظام. في المجتمعات النامية: الحكومة هي التي تدافع عن الصلاح.. أحياناً الصلاح الذي يراه المجتمع.. وأحياناً الصلاح الذي يراه الحاكم. وفي المجتمعات القبلية، المدافع عن الصلاح هو زعيم القبيلة. اما في المجتمعات المتخلفة، فكل من له صوت عال ويدٌ طويلة فهو الذي يدافع عن الصلاح.

عبد المحسن بن عبد الله الماضي

الجزيرة /٢٠٠٢/١٠

★ ★ ★

عنف عشوائي

من المسلمين (أناس) يعدون أنفسهم في حرب غير رسمية مع أعدائهم من المنتهكين لحرماتهم ومقدساتهم والمتطاولين على أمنهم واقتصادهم وحرياتهم.. يلجئون الى مقاومة ذلك بالعنف واستخدام القتل في ضربات تفجيرية عشوائية لا يحكمها تفكير متمعن ولا يحوطها تخطيط ذكي. وهذه التفجيرات التي يُنظمها جماعة من المسلمين يُعلن مرتكبوها أنهم يقومون بها انتقاما لما يحدث من أذى للمسلمين بأيدي أعدائهم، وسعيا الى هزيمتهم والتغلب عليهم، لكن ما يفعلونه في حقيقة الأمر يُضعف موقفهم ولا يُدعمه، بل انه يقلب ميزان العدالة في وجوههم فيظهرهم أمام العالم في موقف القتلة المجرمين وليس موقف الاشراف المدافعين.

د. عزيزة المانع

عكاظ /٢٠٠٢/١٠

★ ★ ★

المرأة وسواقة السيارة

أمنيتي أن يصدر قرار يسمح للنساء بقيادة السيارات. فهذا القرار سيوصد الأبواب أمام السؤال الأزلي لكل زائرة أجنبية ترغب بالتعرف على المجتمع النسائي السعودي..!!
خلال أسبوع قابلت ثلاث صحفيات أجنبيات يعددن أعمالاً صحفية عن وضع المرأة السعودية وعملها وحصولها على حقوقها، وهل هي بالفعل تستطيع العمل رغم أنها لا تقود سيارة؟! وقيادة السيارة هو السؤال الذي يتصدر الجلسة للتأكد حسب قولهن هل المرأة السعودية تعاني من ظلم وإجحاف؟!

أمل الحسين

الرياض ٢٠٠٢/١٠/١٣

لم أكن أتصور أن الإشارة لقيادة المرأة للسيارة عبارة مرعبة ومخيفة جعلت البعض يخرجني من الملة!

أمل الحسين

الرياض ٢٠٠٢/١٠/٢٠

★ ★ ★

بكالوريوس "بطالة" للبنات!

وكيلة وزارة المعارف للشؤون التعليمية في كليات البنات الأميرة الجوهرة بنت فهد آل سعود قالت "إن ٩٨٪ من التخصصات التي تدرَّسُ في ٨٧ كلية للبنات لا يحتاج إليها سوق العمل". يا ساتر، كم بقي من التخصصات الصالحة لسوق العمل"؟ ٢٪ فقط يعني "مافيش"! يعني كل البنات اللاتي يدرسن في الكليات الآن سيتجهن بحفظ الله ورعايته إلى أحضان البطالة محفوفات بإصرار كليات البنات على تأهيلهن للبطالة بشهادة بكالوريوس! وأقول إصرار لأنه لا يمكن أن تكون هذه الحقيقية المفجعة التي أعلنتها الوكيلة في ندوة علمية وليدة اللحظة إنها حتماً مرض قديم استشرى واستفحل حتى وصلت نسبته إلى ٩٨٪.

قينان الغامدي

الوطن ٢٠٠٢/١٠/٣٠

★ ★ ★

مناطق منسية

في مدينة أبها، لا حديث للناس هذه الأيام سوى طوابير الوقوف انتظاراً لشراء صهريج ماء بعد أن تحولت محطة التحلية إلى شيء ما يشبه ميدان التحرير القاهري أو ساعة البيكاديلي اللندنية، الأمر أصبح عادة موسمية أبهاوية والمسؤول يتفرج دونما حلول في الورق أو الأفق.
من أجل عيون أهل المعاريض وأصحاب الصوت الأعلى نسينا مناطق كاملة لم يكن لأهلها ذلك النفوذ لدى المسؤول، أياً كان. ومع الأسف الشديد، صار المسؤول نفسه مجرد مستقبِل مهمته قراءة خطابات المناطق والمواطنين الذين غرسنا فيهم

نقابة "اللوبي" لأهله وقبيلته وصارت وزاراتنا ومؤسساتنا الخدمية مجرد رجع للصدى لا تبادر للتخطيط ولا لجدولة أهمية المشروعات ولا لحاجات المناطق الفعلية.

علي سعد الموسى

الوطن ٢٠٠٢/١٠/٢٩

★ ★ ★

بطالة مهندسين

منذ شهرين تقريبا تم استدعاء ٥٠٠ مهندس لإجراء مقابلة لدى المؤسسة العامة لتحلية المياه في الخبر من أجل الحصول على وظائف، وأمام هذا العدد الكبير المستدعى تفاءلنا بأنه سيتم قبول مئتي مهندس على الأقل، لتغطية النقص في مختلف المحطات في المنطقة الشرقية، لكن المفاجأة – غير السعيدة – أنه بعد أسبوع من المقابلة علمنا أنهم لن يقبلوا كحد أعلى إلا ثلاثين مهندسا. السؤال لماذا استدعاء هذا العدد الكبير وتحميلهم تكاليف السفر والإقامة من مناطق بعيدة! لقد سألت أحد زملائي فأجاب بأن سبب هذه الدعوة الكبيرة هي التغطية على ما نشرته إحدى الصحف عن تعاقد التحلية مع ٧٠ مهندسا من الخارج. والأدهى والأمر أن زميلي هذا يشك في أن الثلاثين هم أسماء اعتمدت بالواسطة.

الوطن ٢٠٠٢/١٠/٢٨

قينان الغامدي

★ ★ ★

المرض مع الفقر .. طامة

كم نرى من مرضى لا يستطيعون توفير أدوية مهمة لا غنى لحياتهم عنها وبالذات أدوية الأمراض المزمنة كالسكر والضغط، وأمراض القلب والشرايين وبعض الأمراض الخبيثة والرئوية. كم نرى ـ نحن الأطباء ـ من مرضى تدهورت صحتهم بسبب توقفهم المفاجئ عن تناول الدواء بسبب عدم القدرة على شرائه، وكم نرى من مرضى حبيسي منازلهم بسبب عدم قدرة أسرهم على شراء كرسي متحرك لهم يخرجون عليه من منازلهم لاستنشاق الهواء، وكم منهم يحتاج إلى نظارات طبية أو عكازات أو كرسي تمريض أو طرف صناعي ولا يستطيع هو ولا ذووه شرائه له.

أسألكم بالله كيف يكون شعور والد أو والدة ترى فلذة كبدها يعتصره ألم المرض ولا يستطيع شراء الدواء له؟، ألا يكفي هؤلاء مرارة الجوع والحرمان من أطايب الطعام واللباس؟!

لنقرأ هذه الأبيات التي كتبها الشاعر زكي مكي إسماعيل كملحمة حزينة يودع فيها ابنته الصغيرة (إرهاف) التي عجز عن توفير العلاج لها، فأقتبس منها ما يلي:

إرهاف لم نذبح صباح العيد مثل الآخرين
هي سنة الله نذبحها على مر السنين
أبتاه يا (إرهاف) يعجز عن شراء البنسلين
أين الدراهم تفتديك حبيبتي/ لتوفر الترياق للداء المكين؟
عجبي لهم "مافيا" تتاجر في حياة العالمين
قتلوك يا (إرهاف) أعداء الدواء
فلتمض أشيائي الثمينة للدواء
(إرهاف) تثقلني الديون قرضتها
أملي أعجل للأميرة بالشفاء

حسن علي الزهراني

الوطن ٢٠٠٢/١٠/٢٧

★ ★ ★

حسين جاء من القبر: من المسؤول عن دفن الأحياء؟

كيف يتم دفن انسان من دون التأكد من جهات الاختصاص؟! واذا كانت جهات الاختصاص قد صرحت بدفن انسان لم يدركه الموت فكيف يمكن الوثوق بشهاداتها؟!

حسين يا سادة هو حسين عبدالله دفنه أهله لوفاته. وحقيقة الأمر أنه لم يمت حيث يروي قصته على النحو التالي: أنا مريض بالسكر وذات يوم شعرت بدوخة شديدة وأغمي عليّ ولم أدر بنفسي الا وأنا في مكان مظلم!

(دفنوه) ظناً منهم أنه مات! المهم، فكّ حسين الكفن. صرخ فسمعه بعض المارة وأخرجوه من قبره. كبروا وصلوا على النبي عليه الصلاة والسلام! شرب الميت ماء وأخذوه الى المستشفى. وعاش حسين!!

والسؤال الأهم: لماذا عدت يا حسين ونصفنا يتمنى أن يذهب؟

عبد الله عمر خياط

عكاظ ٢٠٠٢/١٠/٣٠

★ ★ ★

ضريبة الدخل.. ثمنها الديمقراطية

منذ فترة طويلة تظهر وتغيب أخبار متناثرة عن عزم الحكومة فرض ضريبة على الدخل. وحال صدور هذه المعلومات المتناثرة تبدأ مخاوف وقلق المواطنين وعلى وجه الخصوص الموظفين بصفة عامة. مجلس الشورى السعودي يدرس جدياً مشروع ضريبة الدخل ويتوقع أن يتم الانتهاء من هذا المشروع قريباً. لم يكن الخبر ونشره محبباً لدى شريحة المعنيين به، على الرغم من عدم علم العامة بتفاصيل المشروع.

موضوع الضريبة بصفة عامة حساس جداً وله أبعاده الاقتصادية والاجتماعية والسياسية. (فهو يفتح) باباً جديداً للحوار المبني على الشفافية المطلقة بين دافع الضريبة ومحصلها، وإن هذا المبدأ هو باب من أبواب الديمقراطية في الإدارة يؤيده العديد من المثقفين. وبصرف النظر عن الأبعاد السياسية والأهداف الرئيسية لفرض الضريبة إلا أنه يعتبر في غاية الخطورة إذا لم يخطط له جيداً.

عبدالله صادق دحلان

الوطن ٢٠٠٢/١٠/٢٧

★ ★ ★

احنا ناقصين ضريبة دخل؟

نحمد الله أن وزير المالية قد سارع لينفي خبر نية الدولة فرض ضريبة دخل على المواطنين استجابة لتوصيات صندوق النقد الدولي. فالمواطن اليوم بالكاد يستطيع الوفاء بالتزامات معيشته وتسديد فواتير الكهرباء والهاتف والغاز القاصمة ومستلزمات أسرته في التعليم والعلاج والمواصلات ثم توفير الفتات من راتبه ليكمل به شهره حتى موعد راتبه الجديد فيأتي من يقول له أن ضريبة ستقتطع من هذا الراتب أيضا!

ان من يسعى الى اقتراح مثل هذه الضريبة وتطبيقها يجب أن يعي أن غالبية المواطنين هم من ذوي الدخل المحدود أو المتوسط. وهؤلاء بالكاد يلتحفون بالستر لتسير عجلة حياتهم المثقلة بالهموم والالتزامات والديون!!

فليترك صندوق النقد مواطنينا بسلام فهم مشغولون بتسديد فواتيرهم ونفقاتهم وليسوا بحاجة لمن يضيف الى همومهم هما جديدا!!

خالد حمد السليمان

عكاظ ٢٠٠٢/١٠/٣٠

★ ★ ★

هدف دعم الفلسطينيين: وقاية منهم

كيف لا تأخذ الإدارة الأميركية في الاعتبار الأمر البالغ الأهمية الغافلة عنه وهو أن المساعدات العربية وبالذات المساعدة السعودية للفلسطينيين هي عنصر وقاية. فلولا هذه المساعدات لكان كل فلسطيني بات قنبلة موقوتة قابلة للانفجار في وجه الإسرائيليين وكل من يؤازرهم بالمال والسلاح والمواقف السياسية التي تعتبر العدوان الإسرائيلي وأياً كانت فظاعته هو حق مشروع.

فؤاد مطر

الوطن ٢٦ /١٠/٢٠٠٢

★ ★ ★

قتل احتجاجي أم ماذا؟

ربما قرأ بعضكم خبر مقتل عامل بنغالي يعمل في بقالة في الطائف في وضح النهار بطلق رصاص من مجهول وسبقه بعشرين يوماً مقتل عامل أفغاني في موقع مماثل وبنفس الطريقة وفي نفس الوقت قبيل الظهر بخمس دقائق. ولم يشر الخبر إلى حدوث سرقة في أي من البقالتين. إن المتأمل في حال البقالات الصغيرة ومن كان يديرها في الماضي ومن أصبح يديرها في الوقت الحالي قد يجد نوعا من الربط والتفسير للحدث وإن كان مرفوضا شرعاً وخلقاً ولكنها النفس أمارة بالسوء خاصة حينما تعيش الحرمان ويضعف لديها الإيمان.

أسماء بنت محمد باهرمز

الوطن ٢٣/١٠/٢٠٠٢

★ ★ ★

كلنا بحاجة الى طبيب نفساني

حوادث الانتحار والقتل دافعها – في الغالب – كما يقال – تردي الحالة النفسية.. فكم من حالة نفسية متردية تعيش بيننا ونحن نعلم؟! أو قد نعلم ونتجاهل.. وربما نعجز عن التصرف معهم.. ويعجزون عن التصرف معنا، لعدم أهليتنا وهم للتصرف. ومن هم أهل له.. مضربون منزوون في مكان قصي. فهل تنتظرون مزيداً من حوادث القتل والانتحار؟!

ما هي مؤلفات أطبائنا النفسيين في مجال تخصصهم؟ وهل هي تحاكي وضعنا الاجتماعي، وتتلمس فجواته فتسدها.. واعوجاجه فتقومه؟ وضعنا الاجتماعي ببياضه واسوداده.. بنصاعته وقتامته.. بأطيبه ورديئه.. يحتاجكم بشدة.. بقدر احتياجنا لكم.. وأكثر!

كلنا بحاجة لطبيب نفساني.. ومن لا حاجة له به فليقذفني "بأن اصمتي".

هدى فهد المعجل

الجزيرة ٣٠/١٠/٢٠٠٢

★ ★ ★

شباب الإنفتاح السياسي

أتحدث عن عدم وجود قنوات الحوار، ابتداءً من البيت، وانتهاء بالمدرسة والنادي والإعلام وبقية المنابر الموجودة وغير الموجودة. الشاب اليوم يفتقر إلى الحوار السياسي. انه، بشكل عام، منغلق على ذاته، يبحث جاهداً عن خلاصه الفردي، وليس الجماعي. هو، في ظل الظروف الصعبة، التي تحيط به من كل جانب، لم يعد مكترثاً بما يحدث حوله، لانه يدرك، بأن المناخ العام، لا تتوفر فيه قنوات الحوار، ومنابر الرأي. هو يعي ان الصمت هو الطابع السائد، لذلك يصمت. وإذا حصل وتحدث، فإن إحباطاً عاماً وخذلاناً كبيراً، يفوحان من صوته. هذا هو ما يجري، وسيظل يجري، طالما لم نتحرك لتأسيس كيانات واعية، للالتفاف حول قضايا الشباب وهمومهم السياسية، ولنحولهم من مجرد أفراد، يتحرك كل منهم في اتجاهه الشخصي، إلى جماعة وطنية، متقدة بالولاء والعنفوان والفهم.

سعد الدوسري

الرياض ٢٩/١٠/٢٠٠٢

★ ★ ★

افعلوا شيئاً

مشكلة البطالة في بلد مثل المملكة ترتفع فيه أعداد العمالة الأجنبية الى ربع عدد السكان تقريباً (يوجد حوالي خمسة ملايين عامل أجنبي) بينما تبلغ نسبة العاطلين السعوديين كما يتردد ٣٠٪ (ثلاثين في المائة) من قوة العمل بمعنى أن ٣٠٪ من القادرين على العمل لا يجدون عملاً. مشكلة البطالة هذه وصلت الى حدود الخطوط الحمراء، وتحاول الجهات المعنية ايجاد حلول لهذه المشكلة بالسعي لتوطين الوظائف كما يُقال أو لسعودتها. وهي مع الأسف جميعها حلول عشوائية.

عبد الله ابو السمح

عكاظ ٣٠/١٠/٢٠٠٢

★ ★ ★

تغيير المناهج

كل ما يقال من أن هناك طلبات من أي دولة في العالم أن تغير السعودية مناهجها، فهذا أمر غير مقبول وهو تدخل في السيادة. ولم يطلب منا ذلك، ونرجو من صحافتنا الحرة أن تنظر إلى أن هناك إعلاما ورجالا ينتمون للإسرائيليين ضد سياسة المملكة ويعملون المستحيل لإيجاد الفوارق بين المملكة العربية السعودية وصديقتها الولايات المتحدة بالذات. صداقتنا مستمرة ولا يلحقها شائبة.

الأمير سلطان بن عبد العزيز

٢٠٠٢/١٠/٢٦

★ ★ ★

جوف الوطن

إني أطرح سؤالاً يحمل بين طياته البراءة كما هم أهل الشمال الانقياء وأقول لماذا هي نادرة زيارة الوزارة والمسؤولين في قطاع الخدمات لتلك البقعة من بلادنا ليطلعوا بانفسهم على احتياجات تلك المناطق ويشعروا أهلها أنهم محل العناية وان احتياجاتهم محل الاهتمام..؟؟ صدقوني سادتي.. ايها الوزراء ان أضواء (الإعلام) ستلاحقكم تى وانتم في اقصى شمال الوطن... بل وسيفرد لكم الناس هناك صفحات من الترحيب بمقدمكم الميمون سيقيمون لكم الولائم التي لا تنتهي فرحاً بزياراتكم وستجدون بساطة الناس تحيطكم حباً من كل جانب وفي نفس الوقت سيقدمون لكم طلباتهم على استحياء وسيلهجون لكم بالدعاء حين تقدمون لهم ولو حتى مجرد (وعود) بتحقيقها..!!! أتمنى منكم محاولة تجربة ذلك وستسرون حينها حتى وإن أفزعكم حجم التقصير..!!!

عبد الله الكعيد

الرياض ١١/٥/٢٠٠٢

★ ★ ★

تاريخ الموسيقى والغناء في الحجاز

حظي الغناء في تاريخ العرب قبل وبعد بزوغ فجر الاسلام باهتمام المؤرخين امثال ابو الفرج الاصفهاني الذي خصص أجزاء كبيرة من كتابه الشهير (الاغاني) لأخبار المغنيين والمغنيات، كما أفرد ابن عبد عبد ربه الاندلسي في (العقد الفريد) ياقوتة عن الغناء واختلاف الناس فيه اشتمل على اخبار الغناء في صدر الاسلام، كما نال الغناء اهتماماً خاصاً من قبل عدد من مشاهير المؤرخين امثال الطبري والمسعودي والسيوطي وابن خلدون وغيرهم، فيما أخضع عدد من الفقهاء موضوع الغناء للتحقيق الفقهي مثل النابلسي والشوكاني، حيث ناقش الاخير دعوى الاجماع على تحريم السماع.

ويعود أصل الغناء الحجازي الى العصر الجاهلي، رغم تباين الاجتهادات بشأن الفترة المحددة التي ظهر فيها الغناء. وقد أشار بعض المصادر الى ان جرهم لعبت دوراً مركزياً في نشوء حركة ثقافية ودينية واقتصادية نتجت عن تحول مكة المكرمة الى مركز استقطاب لهجرات بشرية من اجزاء مختلفة من الجزيرة العربية، فانتقلت عبرها فنون الغناء من اليمن والحيرة ومن بلاد الغساسنة ومن فارس والروم وغيرها الى الحجاز. فاتصال مكة ويثرب بالحضارات المجاورة ساهم بلا شك في انتقال كثير من الفنون بما في ذلك فن الغناء والموسيقى.

ويشير ابن عبد ربه الاندلسي في (العقد الفريد: ج٦ ص ٢٨) أن "أصل الغناء ومعدنه في أمهات القرى من بلاد العرب ظاهراً فاشياً وهي: المدينة، والطائف، وخيبر، ووادي القرى، ودومة الجندل، واليمامة".

ولعل من نافلة القول، فإن معظم الطقوس الدينية التي كانت تمارس في العصر الجاهلية كانت مترافقة مع وصلات غنائية تؤدى امام الانصاب، وقد اشتهر عن أهل الجاهلية انشادهم عندما يفيضون الى منى:

أشرق ثبير كيما نغير

فالسحر والعرافة في عصر الجاهلية اعتمدتا بشكل أساسي على أهازيج انشادية وغنائية، وكانت نساء القبائل تسهمن في الغناء للاحتفاء بأعياد العشائر، حتى اصبحت مساهمتهن جزءاً مهما من حياة المجتمع الجاهلي في طوري السلم والحرب. وكان من شدة اهتمام أهل الجاهلية بالغناء احتفائهم بشعرائهم غناءً وطرباً كما يومىء الى ذلك السيوطي في (المزهر:ج٢/ص٢٣٦):

"قال ابن رشيق: كانت القبيلة من العرب اذا نبغ فيها شاعر، أتت القابل فهنأتها بذلك، وصفت الاطعمة، واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعن في الأعراس".

وكان أكثر شعر الجاهليين ينشد بأفواه القينات (جمع قينة أي المقابل اللغوي للعبد) وهن طبقة من النساء اشتهرت منهن جرادتا عبد الله بن جدعان وكانتا تجذبان الناس بغنائهما في العصر الجاهلي:

ألا يا قين ويحك قم وهينم لعل الله يصبحنا غماما

وكنا يؤدين هذه الابيات بطور غنائي استخدمت فيه آلات القرع كالطبل والدف والقضيب والصنج والجلاجل وهي الآلات الموسيقية المعروفة في بداية الموسيقى بالحجاز. ثم تطور فن الغناء الحجازي حول مكة ويثرب تدريجياً في العصر الجاهلي باستخدام الآت موسيقية وترية كالبربط والمزهر والكيران والمعرفة والربابة والطنبور، والات هوائية بالنفخ كالقصابة والشبابة والمزمار وزمارة القرب كما ساهم الجاهليون في الحجاز بابتداع أدوات موسيقية.

ويعد الحداء أقدم نمط للغناء في الحجاز، وهو كما قيل مساوقاً لوقع أقدام الجمال، وقد تطور الحداء فيما بعد وتهذب بلون الركباني، حتى قيام غناء النوح والنصب الذي ساد الحجاز باستعمال آلة القضيب لتنظيم ايقاعاته. ثم ظهر شكل الغناء الحجازي المتمثل في غناء الهزج والسناد وقيل بأنه دخل على يد النضر بن الحارث، وهو ما شكل نمط الغناء في آخر العصر الجاهلي.

اما صورة الغناء الحجازي في عصر صدر الاسلام فقد استمر تأثيره في الناحية الاجتماعية، حيث شكل الغناء بالنسبة لمجتمع الحجاز جزءا حميمياً من المناشط الاجتماعية والدينية والثقافية في العصر الجاهلي، وكان من الصعب محو تلك التقاليد بصورة قاطعة ونهائية، فضلاً عن وجود شواهد دينية واجتماعية على استحسان الاصوات العذبة المطربة.

فقد روى ابن حجر العسقلاني في (فتح الباري:ج٨ص ٧١١): أن رسول الله (ص) قال لأبي موسى الاشعري وقد أعجبه حسن صوته "لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود" كما روي عن رسول الله (ص) قوله لعائشة "أهديتم الفتاة الى بعلها ؟ قالت: نعم. قال: وبعثتم معها من يغني؟ قالت: لا قال: او ما علمتم ان الانصار يعجبهم الغزل؟ الا بعثتم معها من يقول:

أتيناكم أتيناكم نحييكم نحييكم
ولولا الحبة السمراء لم نحلل بواديكم

وفي استقبال الرسول الكريم (ص) صعدت فتيات بني النجار يضربن الدفون وينشدن:

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

وجاء في (فتح الباري) حديث أنس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان في سفر وكان غلام يحدو بهن يقال له أنجشه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم رويدك يا أنجشه سوقك بالقوارير، وجاء في صحيح مسلم عن أنس "رويداً يا أنجشه لا تكسر القوارير.

وقد علق أنور عشقي في "الركب المكي: الرياض/١٤٢٣ ص ١٢):

"فكأنه عليه الصلاة والسلام يشير الى أنجشه ألا ينشد بالمقام المتسارع، حتى لا تتأثر النساء، فقد كانت أم سليم في الثقل (أي حامل في أشهرها الاخيرة)، فكان عليه الصلاة والسلام يرغب الى أنجشه أن يحدو بلحن بطيء ممدود كما هو لحن الصبا المعروف اليوم، وهو لون من ألوان الرصد".

ولعل في ذلك ايماءة الى تفسير مجموعة النصوص الواردة حول الغناء، حيث تفيد الاحاديث هذه بضرورة تهذيب ممارسة الغناء بما لا يتعارض مع القيم الدينية، وتعديل اغراض الغناء وغاياته وتحريرها مما كان يؤطرها من عادات جاهلية مرفوضة.

وقد أورد الاصفهاني وابن عبد ربه اسماء عدد من المغنيين الحجازيين، فهذا طويس (تصغير طاووس) ذكره الاصفهاني وابن عبد ربه وابن خلكان وغيرهم وقد ضرب به المثل الشهير "أشأم من طويس" لموافقه مولده وختانته وزواجه بأحداث توفي فيها رجال بارزون. وقد رويت اخبار كثيرة عن المنافسة بينه وبين مغني مكة ابن سريج الذي قدم المدينة وغنى فيها مما أثار حماسة الناس ، ولما مر طويس بالمكان وغنى ضارباً على الدف:

تناهي فيكم وجدي وصدع حبكم كيدي

فقلبي مسعر حزناً بذات الخال في الخد

فما أن سمعه ابن سريج تقدم نحوه صائحاً: والله هذا أعظم مغني عرفته الناس. وكان طويس استعمل اسلوب الايقاع الخفيف في غنائه مستخدماً آلة الدف.

وقد اشتهر ايضاً ابو الخطاب مسلم بن محرز (ت.٧١٤م) ويعد من اعلام الغناء المكي في صدر الاسلام، وقد نقل خلال رحلته فارس وبلاد الشام الانغام الفارسية والرومية واقتبس منها في صناعة الحانه المكية ولقب بصناج العرب لاجادته العزف على الصنج. ويعتبر ابو الخطاب أول من غنى في الحجاز على ايقاع الرمل، كما أنشد رملاً فارسياً.

وهناك معبد بن وهب (ت.٧٤٣م) من موالي بني مخزوم ومن أعلام الغناء في المدينة، وكان يلقب بأمير المغنيين، وقد درس الغناء على سائب خاثر ونشيط الفارسي وجميلة.. قرّز أداؤه فقيل:

أجاد طويس والسريج بعده وما قصبات السبق الا لمعبد

وقد وردت روايات عن المنافسة بينه وبين معبد وابن سريج مما ينبيء عن المنافسة التي كانت تجري بين المدينة ومكة في فنون الغناء في صدر الاسلام.

وكان لمعبد محاولات ابداع ما يعرف بفن المقامات، فله سبع الحان تقابلها سبع قصائد عرفت بـ "حصون معبد" لجودتها ومتانة صياغتها.

ينضاف الى ما سبق عدد من المغنيين الكبار مثل ابو جعفر سائب ابن يسار والمعرف بسائب خاثر وكان بارعاً في العزف على العود، ومن المغنيين المدنيين يونس بن سليمان الكاتب قد غنى اشعاراً سميت بالزيانب تغزلاً بزينب بنت عكرمه مما أثار عليه حقد أهل المدينة، كما برز في الغناء المكي في صدر الاسلام سعيد بن مسجح وقد أخذ عن الفرس والروم اجمل الحانهم وصاغها صياغة مكية، وبرز ابن سريج كمعلم بارز في الغناء المكي وهو ابو يحي عبيد بن سريج واشتهر بلبس الجمة (الشعر المصطنع). ويعتبر ابن سريج أحد اعمدة الغناء الاربعة في الحجاز وهم: مكيان، ابن سريج، ابن محرر، ومدنيان، معبد ومالك الطائي. وهو أول من استخدم العود في مكة وغنى به للنوح وابدع في نوحه على يزيد بن عبد الملك على قمة أبي قبيس:

يا عين جودي بالدموع السفاح وابكي على قتلى قريش البطاح

ومن اعلام الغناء المدني في صدر الاسلام ابو الوليد مالك بن ابي السمح (ت ٧٥٤م) وقد غنى في مجالس يزيد بن عبد الملك والوليد بن يزيد وغنى من شعر الحسين بن عبد الله بن العباس:

لا عيش الا بمالك بن ابي السمح فلا تلمني ولا تلم

وهناك عدد آخر من اعلام الغناء الحجازي امثال احمد بن يحي بن مرزوق المكي ومحمد بن عباد ويحي المكي وابن جامع وعمر الوادي وخالد صامة وفليح وابو وهب عبد الله بن وعب والذي عرف بسياط، وعبادل بن عطية وفليح ابن ابي العوراء وابو طالب عبيد الله بن القاسم والبردان وابن ابي عتيق وابن عائشة وقند والدلال وبذل ودنانير وعشرات غيرهم ممن بلغت شهرتهم الآفاق.

وقد اشتهرت المدينة بمجالس غنائها التي جمعت المشاهير من المغنيين المكيين والمدنيين من امثال معبد وابن سريج وابن مسجح والغريض وغيرهم..وغنى من شعر الاحوص وعمر بن ابي ربيعة وأمرىء القيس وزهير وفطاحل شعراء صدر الاسلام.

كما برزت من المغنيات سلامة القس (ت١٣٠هـ/٧٤٨م)، وقد أخذت الغناء عن جميلة، واشتهرت هي واختها ريا في مجالس الغناء بالمدينة حتى اشتراها يزيد بن عبد الملك.

ومن قينات المدينة كانت بصبص جارية بن نفيس. اشتهرت بغناء المجالس وفتن بغنائها كثيرون وقيل فيها:

بصبص انت الشمس مزدانة فإن تبذلت فأنت الهلال

اذا دعت بالعود في مشهد وعاونت يمنى يديها الشمال

غنت غناءً يستفز الفتى حذقاً وزان الحذق منها الدلال

ومن القينات المغنيات في الحجاز ظهرت حبابة (ت١٠٥هـ) وكان اسمها العالية، ونالت عزة الميلاء (ت. نحو ١١٥هـ) شهرة كبيرة في الغناء بالمدينة وهي اقدم من غنى الغناء الموقع في الحجاز حسب ما جاء عند الاصفهاني.

وخلافاً لما كان عليه الغناء في الجاهلية، شهدت القرون الثلاثة الاولى من صدر الاسلام نقلة نوعية في فنون الغناء في الحجاز، اذ أصبح الغناء مشتملاً على طابع فني فريد يستمد قوته من التسابق على انتخاب القصائد ذات الشكل الغنائي لفحول الشعر،وهكذا على الابداع الموسيقي وشكل الاداء اضافة الى التنوع الموسيقي الآلي.

ويقال ذات الشيء عن اغراض الغناء فهي الاخرى ايضاً شهدت تحولاً في عصر صدر الاسلام فأصبحت تنزع نحو فنون اللهو والترفيه الاجتماعي الذي انداح من مجالس عليّة القوم اولاً حتى بلغ أوجه في قصور بعض الخلفاء والامراء من بني امية وبني العباس.

بيد أن زوال العصر العباسي قد أحدث انكساراً في فنون الغناء في مكة والمدينة سوى اشارات عابرة في وصف الحياة الاجتماعية ودور الغناء فيها كوسيلة للترفية والتسلية في المناسبات الاجتماعية المختلفة، كالاشارات الى الاغاني التي كانت تؤدّى ضمن حفلات الزواج وأهازيج الاعياد والاحتفالات الدينية المختلفة.

ومما اشتهر غناء في مدن الحجاز ما يعرف بالغناء العدني وهو كما تنبيء الكلمة لون من الغناء وافد من الجنوب وقد أدخل عليه شيء من التطوير، واشتهر في غناء هذا اللون علي ابو بكر با شراحيل وابراهيم الماس واحمد القعطبي وعلي الحراش ومحمد الماس وعلي الجمالي وصالح الغشري وعبد الله المسلمي.

ومما سبق يظهر ان الغناء في مكة والمدينة في العصور المتأخرة ارتبط بالحياة الاجتماعية التي كان الغناء يمثل جزءاً من تراثها ومخزونها الطقسي، وقد ارتبط بصورة مباشرة بالمناسبات الاجتماعية كالاعراس فكان المغني يختار كلمات تنسجم والمناسبة وذوق المستمعين.

وقد تخرج جيل من الهواة الذي مارس الغناء مستوحياً من تراث جيل المغنيين الكبار من مكيين ومدنيين ويذكر من جيل الهواة محمد بن شاهين وعمرة اربعين وحمزة المغربي وعبد الله مكي وسعيد شاولي واحمد شيخو من مكة المكرمة ومحمد بناتي وحسين بخاري وعلي عويضة وعمر عبد السلام وعبد الستار غازي ومحمود النعمان من المدينة المنورة.

وقد مهدّ هذا الجيل لظهور وشياع الغناء الشعبي في الحجاز الذي انبثقت منه فرق موسيقية باستعمال آلات موسيقية كالعود والكمان والطبلة والقانون.

مواطن طيّب

أقسم بأني مواطن طيّب.
مَنْ حوصر بهذا القَسَم؟
كل ما أذكره أني مواطن طيِّب، حينما تصفعك يدُ مواطن (ما) تتساءل إلى من المشتكى، وإذا لم تجد إجابة، فإن الكفر يستحضر نفسه.
لا أعرف لم لا يبدو الوطن وطناً؟ أقسم أني مواطن طيب، غير أني كثير النزق بالنسبة لمن لا يقرأ، كيف يجب أن يكون الوطن للجميع ... أثور كثيراً وألعن وأشتم ... ثم اعود وأسأل نفسي : ما لذي يجديه اللعن والشتم؟
أنا مواطن طيب، لكني أكره أن يكون (الفرد) فوق الوطن. تمنيتُ يوماً أن أحلم بوطن يطبق شريعةً لا قوي فيها ولا ضعيف. أكره أن اكون شبيهاً لقرد في سيرك، أو ببغاء في قفص.
صديق لي كان يحاول أن يبدو متزناً قال لي ذات (صفعة): تجاوز ما تراه عيناك، وما يخفقه قلبك وما تسوؤه قبيلتك. تجاوز عن أخطاء حاكمك وولي أمرك.
قلتُ له : إلى متى أفعل؟
نظر إليَ بعينين يشبهان حزني وسكت!
في صومعتي ، تبدو مكتبتي حزينة، أوراقي مندهشة، وقلمي عقيم. لماذا وإلى متى؟
يجيبني صدى حزني: أقسم بأن مكابدتك ما هي إلا مكابدة مواطن حقير.
هل أستمر يا سادة ؟ أم تكلمون كؤوسكم قبل أن تطير ثمالتكم؟
تحت المئذنة يستلقي صدى المؤذن حزيناً، وعلى مشارف حلمي عينان تشبهان عينا فسيلتي تؤرقاني كما حزني الأبدي.
في المتسع من الثمالة بكيتُ. أقسم على ذلك. سألني قسمي أما زلت باراً بي؟
وفي الصباح بكى صمت، ونحب صراخ.
مؤخراً.. عرفت بأني مواطن حقير، لكني ما زلتُ مصراً على أنني مواطن طيّب.
هاهو المؤذن يعلن: الصلاة خير من النوم.. الصلاة خير من النوم.
تصبحون مثلي على وطن طيّب.
أقسم أني أحبكم رغم حصاري.

* * *

في اليوم التالي فاجأني صديق راعه ما بي فقال:
أنا أقسم أنك لست مواطناً!
أجل والله.. أقسم أنك لست مواطناً، ونحن جميعا مثلك!
كيف نكون مواطنين بلا وطن؟ إن هذا الذي نحبه هو اللاوطن!
الوطن يسكن قلوبنا وجوارحنا ولكننا لا نعيشه ولا نسكنه!
هل رأيت مثل هذا؟
لماذا نشعر بالغربة القاتلة دائماً، والعذاب الذي ليس له نهاية؟
لماذا هذا الحب العميق لهذا الكيان (اللاوطن)؟
الحب من طرف واحد عذاب لا ينتهي! قل لي بربي وربك: لماذا وطننا، اذا كان فعلاً لنا، لا يحبنا ولا نسكنه؟
لماذا أصبح هذا المحبوب جلاداً قاسياً يتلذّذ بجلدنا كل يوم بسياط القسوة والعذاب؟
لا أعلم كيف ولماذا نحب هذا (الجلاد) ونهيم به حباً وعشقاً؟
بربّك أخبرني لماذا نحب هذا الجلاد؟ أعرف فقط بأني أحبه لدرجة الهيام والوّله،
وأترجم هذا الحب إلى إخلاص وتضحية ووفاء، ولكنه لا يأبه بي، بل يزيد من قسوته!
لماذا يا أخي المواطن لا يبادلنا وطننا الحب والعطاء؟
هل وقع في حب عاصف مع أحدٍ غيرنا؟! وهل سيجد حبيباً وفياً مخلصاً له أكثر منّا؟
بربك هل أنت قادر على إجابة تساؤلاتي؟!

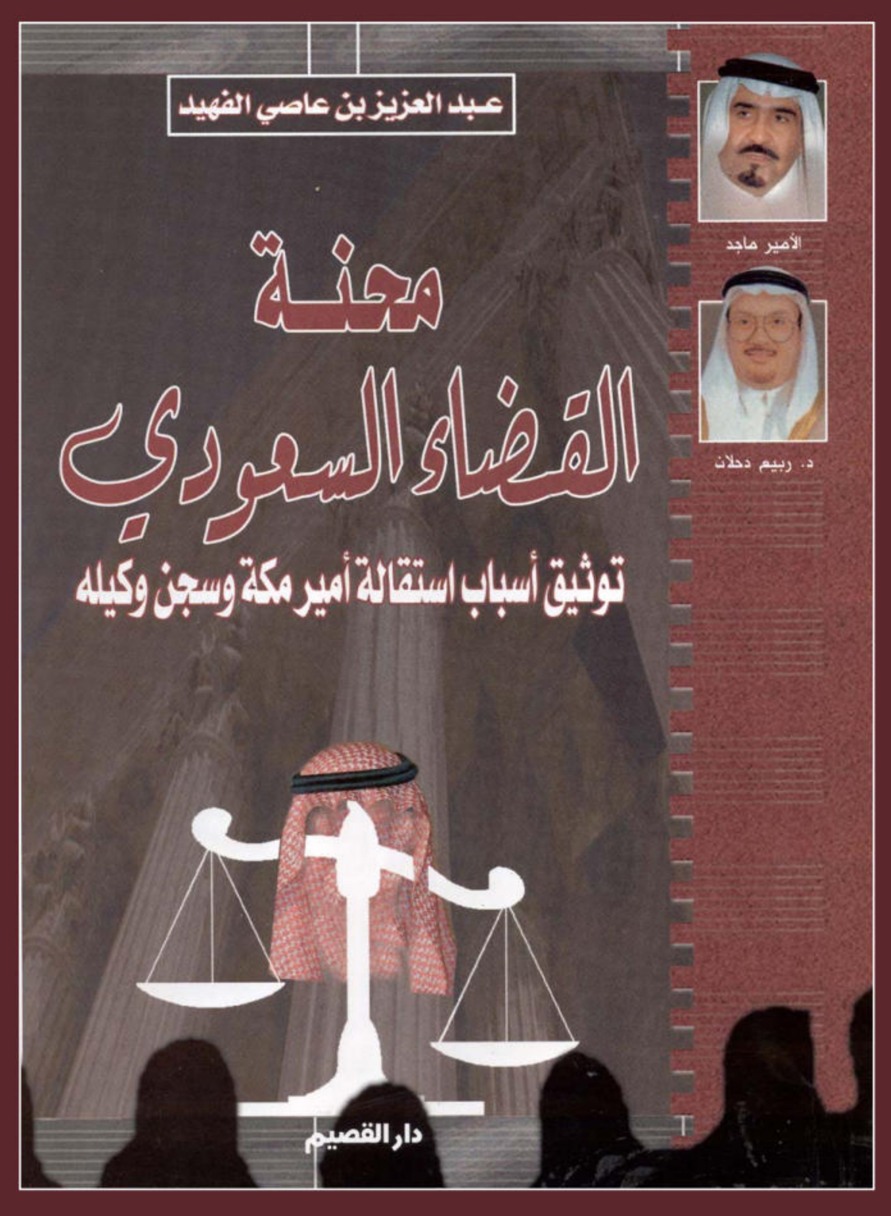
* * *

ربما أنا مواطن طيِّب!
ولكنّي لستُ بنظرهم مواطناً مخلصاً!
الإخلاص مفهوم هلامي كما هو هذا الذي نسميه وطناً.
المسألة أبعد إذن من الطيبة والإخلاص. وعندما يقولون عن شخص ما أنه (عبيط) أو (أبله) فهم حتماً يقصدون أنه أصبح (طيباً)!
لا يجب أن نستغرب إذن، فنحن في وطن فيه (طيبة القلب بتتعيب يا طيب) كما قال لي أحدهم.
أنت بالتأكيد مواطن طيب تستحق القليل من الشفقة والكثير من الصدقة.

نشرت القصيدة جريدة المدينة في ٨ مارس ٢٠٠٢م،

فطرد رئيس التحرير محمد مختار الفال واعتقل الشاعر مدة شهر حيث اطلق سراحه في ٢٠٠٢/٤/١٧م.

كُلكم قاتلٌ ولا استثناءُ   والقتيلُ القضاءُ والشرفاءُ
مات عصرُ الفاروق ، لم تبقَ منهُ   غير ذكرى سُطورها بيضاءُ
سقطت رايةُ الحسينِ وعادت   من جديدٍ بثوبها كربلاءُ
واعتلتْ عُصبةُ اللصوصِ وماتتْ   في السجون العدالةُ العذراءُ
كُلكم من سقوطها مستفيدٌ   كلكم مذنبٌ .. ولا أبرياءُ
أكبرُ المجرمين أنتمْ ولكن   لا وجوهٌ لكم، ولا أسماءُ
أيها المرتَشونَ من أين جئتمْ   ألغيرِ الثقاةِ كان القضاء
تدَّعونَ التقى وأنتمْ ضِباعٌ   أكَلتنا .. فكُلنا أشلاء
تحتَ أنيابكم نَتنٌ .. ومنكم   لا فقيرٌ نَجا ولا أغنياء
فكأنَّا وحلٌ وأنتم زُلالٌ   وكأنّا أرضٌ وأنتم سماء
نحنُ أهلُ الضلالِ دوماً وأنتم   عندنا المرسلونَ والأنبياء
لكُمُ الدينُ كُلهُ ولنا الشر   كُ فنحنُ الخوارجُ السفهاء
فأبونا "الحجاجُ" وابنُ "سلولٍ"   وأبوكمْ "عليُّ" و "الزهراء"!!
نحنُ من خانَ كلَّ شرعٍ ودينٍ   وعلى الدينِ أنتمُ الأمناء!!
كلُ صوتٍ سواكمُ شيطانٌ   كلُ رأيٍ عداكمُ فحشاء
وعروقُ الإيمانِ جفَّتْ لدينا   ولديكمْ عُروقهُ خضراء
أعذرونا فنحنُ نسلُ "يزيد"   أيها التابعونَ والخلفاء
أيها المفسدونَ في كلّ أرضٍ   قاتل اللهُ علمكمْ ، والسماء
كم ذبحتمْ من آيةٍ وحديثٍ   ولِحاكُمْ كم لطَّختها الدماء
فالدساتيرُ كالعبيدِ لديكمْ   والقوانينُ في يديكمْ إماء
وتُداجونَ ألفَ طاغٍ وطاغٍ   ولهُ وحدهُ يكونُ الولاء
ولهُ منكمُ النفاقُ المُصفَّى   والركوعُ الطويلُ والإنحناء
وتُحِلُّونَ ما يراهُ حلالاً   فالفتاوى منكمْ ومنهُ الجزاء
وإذا قالَ حرِّموا حرَّمتُمْ   كلَّ ما يشتهيهِ ، حتى الهواء
هو مولاكمُ الذي تعبدوهُ   فهوَ نعمَ المولى ونعمَ الرجاء!!
أيها المتخمونَ فسقاً .. أهذا   ما تقولُ الشريعةُ السمحاء؟!
كيفَ صارَ القضاءُ عنزاً حلوباً   يتسلّى بحَلْبِها من يشاءُ؟
أكْلُ لحمِ الخنزيرِ في عُرفكمْ شِر   كٌ، وأكلُ الحقوقِ فيهِ الشفاء
وكلامُ "الصكوكِ" أحلى لديكمْ   من كلامِ الذي لهُ الأسماء
لا من الناسِ تستحونَ ولا اللـ   ـهِ الذي منهُ يستحي الأنبياء
كلُ ظلمٍ بنا وكلُ فسادٍ   أنتمُ الرأسَ فيهِ والأعضاء
فلوجهِ الدينارِ قُمتمْ وصُمتمْ   فهو باقٍ وما سواهُ فناء
ولعينيهِ كم فَقأتُمْ عيوناً   فلعينيهِ يُستحَبُ الدعاء!!
ونهبتمْ من أجلهِ البرَّ والبحـ   ـرَ ومنكمْ لم تنجُ إلا السماء
وتُحَنُّونَ كل يومٍ لِحاكُمْ   كي يزولَ البياضُ والإرتخاء
والفسادُ الذي يعربدُ فيها   لا خضابٌ يخفيهِ أو حِنَّاء
أيها المُظلمونَ .. لم يبقَ وجهٌ   فيكمُ يستحي .. ولم يبقَ ماء
كم يعاني من فسقكمْ أتقياءُ   ويقاسي من زيفكمْ علماء
هُمْ مع الله يَسهرونَ .. وأنتمْ   في جحور لكمْ بناها الرياءُ
فهمُ الشمسُ إن تعالى ظلامٌ   وهمُ السيفُ إن تمادى البغاء
وهم الذائدونَ عنا .. وعنهمْ   ستذودُ السماءُ والأنبياءُ
فلحاهم منيرةٌ بتقاها   ولحاكُم تُنيرها الظلماء
أيها الغارقونَ في وحْلِ دُنيا   كمْ وفيهِ جميعُكم شهداء
لستُ أهجوكمُ فأنتمْ ذئابٌ   وكثيرٌ على الذئابِ الهجاء
أنتمُ الميتونَ شيخاً فشيخاً   وبِكُمْ لا يليقُ إلا الرثاء!



يتناول الكتاب قضية اعتقال وكيل إمارة مكة المكرمة، الدكتور ربيع الدحلان، الذي ينتمي الى إحدى العائلات المكية الحجازية العريقة، وقد كان انتماؤه للحجاز ولعائلة الدحلان سبباً في التآمر عليه من قبل الجناح السديري مدعوماً بالبرامكة التويجريين، الذين يضيقون بالحجاز وأهله وتاريخه وتراثه.

لقد دبّر المجرمون مؤامرة مكشوفة ضد الدحلان، اشترك فيها القاضي الفاسد حسين الحكمي وهيئة التمييز، اعتقل على أثرها الدحلان لمدة أربعة أشهر، وأدّت المؤامرة الى استقالة أمير مكة نفسه (الأمير ماجد بن عبد العزيز) والذي يختلف عن أكثر آل سعود في تواضعه ودماثة خلقه وإخلاصه.

لماذا وكيف تمّت الإطاحة بالدحلان؟ ولماذا وقف جناح عبد الله ولي العهد ضد ماجد، رغم أن الأخير كان من أعمدته الداعية الى أن يكون ملكاً؟

ولماذ وقف نائب أمير مكة السابق سعود بن عبد المحسن ضد ماجد والدحلان؟ وما هي التجاوزات التي واجهها الدحلان فتألّب عليه المفسدون من آل سعود وحاشيتهم؟

تفاصيل الأحداث وخلفياتها وآثارها تجدها مدعمة بالحقائق والوثائق في هذا الكتاب.